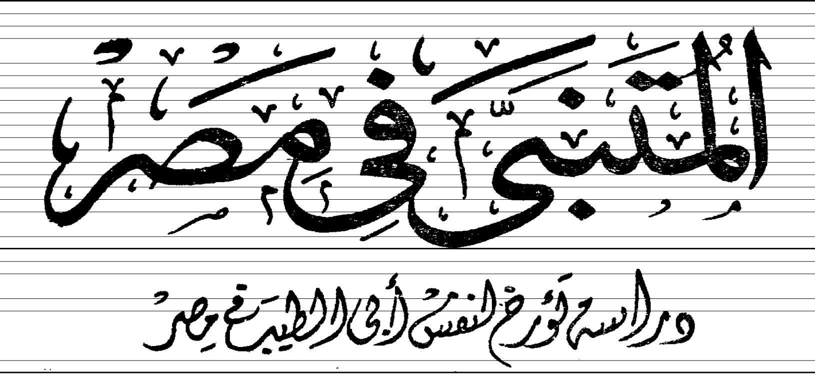
الدكتور
كمال عبد الباقي لاشين




## دراسة تؤرخ لنفس أبي الطيب في مصر

الطبعة الأولى

١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

مطبعة الحسين الإسلامية
٢٥ حارة المدرسة خلف الجامع الأزهر
تليفون : ٥١٠٦٧٢٤



## إهـــــــداء

إلى البحـــــرين ، واهلهـــــا الطيبـــــين ٠٠٠ ،
وإلى خـــــيرة زمـــلائى ٠٠٠ ، وطـــــلابى فى
جامعــــة البحـــرين ، الـــذين صـــحبتهم خمـــس
سنوات من انفـــس ما مضى من سنوات العمر ٠

# مقدمة

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت ، والصلاة والسلام على نبينا محمد المرسل بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله .

وبعد ..

ففى يوم من أيام عام ١٩٧٨ م ذهبت أنا وأخى رجب إبراهيم خليل – رحمه الله تعالى – إلى بيت شيخنا محمود محمد شاكر أول مرة . كنا شابين شاديين فى طلب العلم ، لم نحصل منه على كبير يعول عليه ، إلا أننا كنا نجد فى أنفسنا حبا للعلم ، ورغبة فى أن نعدّ فى أهله .

لقينا الشيخ المهيب – وهو لا يعرفنا – لقاء نبيلا ، فأدنانا ، وحنا علينا ، حتى كسر دهشتنا ووحشتنا ، وبذل لنا من جود لسانه ووجهه ما لم نكن نطمع فى القليل منه ، ثم زادنا فأعطانا نسخه من كتبه ، وفيها كتابه السابق الهادى عن أبى الطيب المتنبى . كان لقاء هذا الشيخ الجليل من حسن صنع الله لنا ، وبقى أثره فى نفسى عظيما ... ثم لقيت بعده – فيمن لقيت – رجالا يعدون فى العلماء ، وهم يزهدون فى العلم وأهله ، لولا أن العلم شريف ، لا يزهد فيه إلا لئيم .

رجعنا يومئذ طربين نحدث بأننا لقينا الشيخ ، ثم عكفنا على كتبه التى أعطاناها مدارسة ومذاكرة ، ففهمنا من كلامه ما فهمنا ، وغاب عنا ما غاب عنا . وكان مما عقلته من كلامه عن المتنبى قوله : إنه يعتمد فى شعره على الاستغراق فى تأمل ما فى نفسه . وإن شعره فى السنوات التسع الأخيرة يفصم عن نفس منقبضة كئيبة يؤودها ما تحمله من الآمال والآلام . وقال : إنه لم يوف هذه المسألة حقها كتابة ( انظر : المتنبى : ١/ ١٠٠ ، ٢٢٦ ) . ثم وجدت هذا المعنى نفسه مكررا فى بعض ما كتب بعدُ عن شعر المتنبى .

فكان هذا مما دفعنى إلى أن أخص مصريات المتنبى بدراسة تؤرخ لنفسه فى مصر من شعره فيها ، واخترت المصريات دون غيرها من شعره لأن

مصر كانت امتحان أبى الطيب الأكبر ، ومحنته الكبرى ، فلم تمتحن نفسه فى بلد كما امتحنت فى مصر ، ولا ابتليت عند ممدوح بمثل ما ابتليت به عند كافور ، كان يأنف من أن يأتيه الكرم من بعض أحرار الرجال فساقه قدره سوقا عنيفا إلى عبد ملك يسأله ويرجوه . وكان يكره دولة الخدم ، ويمقت سلطان العجم ، فانتهى به طعمه وطموحه إلى دولة الخدم وسلطان العجم ، وأنزل رجاءه العقيم فى الولاية والملك بكافور - حين لم يحققه له من نزل بهم من أحرار الملوك - وقعد ينتظره الانتظار الطويل ، حتى إنه ليقول له :

**ولو كنت أدرى كم حياتى قسمتها**

**وصيرت ثلثيها انتظارك فاعلم**

**رضيت بما ترضى به لى محبة**

**وقدت إليك النفس قود المسلم**

ديوانه : ١٣٢/٤

لهذا كان شعره فى مصر من أقوى الشعر الذى يبحث فيه عن خبايا نفس قائلة ؛ لقوة ما يظهر فيه من انفعالات النفس .

ولما كان جديد الشخصية لا ينفصل عن قديمها ، وحاضرها غير مقطوع عن ماضيها ( انظر : الأسس النفسية للإبداع الفنى ... : ١٧٦ ) فإن التاريخ لنفس أبى الطيب فى مصر لم يكن ليتم بمعزل عن تاريخ نفسه قبلها ، لذا لم اقتصر على تأمل شعره فى مصر وحدها ، بل راجعت شعره كله لاتتبع تطور عقائده الفكرية والنفسية ، ما ثبت منها لصروف الدهر ، وما زحزحته الأحداث والحوادث .

والتاريخ لنفوس الشعراء من شعرهم على النحو الذى أحاوله هنا أراه أقرب إلى **تاريخ الأدب** منه إلى أى علم آخر من **علوم النص الأدبى**، مع الاقرار بأن علوم النص الأدبى - وإن تمايزت - تتداخل ، ويفضى بعضها إلى بعض . وهذا التاريخ النفسى يمكن أن يدخل إليه من زاوية **علم النفس اللغوى** ، الذى ينطلق من اللغة ، وينظر فى مدى طفو مقاصد المتكلم ونواياه على سطح خطابه اللغوى ، وأن يدخل إليه من **زاوية علم النفس الأدبى** ، أى : **التحليل النفسانى للنصوص الأدبية**

الذى ينطلق من النص إلى الأديب ، أو من المرويات التاريخيــة حــول النص إلى النص نفسه ، ثم يعتبر النص وثيقة نفسية تقوم مقام لوحـة الإسقاط فى عيادة التحليل النفسانى ( انظر : الاسلوبية والأسلوب للمسـدى : ١٩٦ ، ٢٤٤ ) ولكن محاولتى فى هذا البحث لا تلتزم أيـا من هذين المنهجين ، بل تمضى على **منهج تذوقى عــام** فتنطلق من النص والرواية معا ، وتنظر فى مضمون الشعر ، ولغته ، وأساليبه الفنيــة ، والمرويات التاريخية جميعا ، ثم تجد قدر الاستطاعة فى النفاذ إلى أغوار النص ، والديب إلى أجنتـه وأسراره ، بعـد أن تضعه فى سياقه من تاريخ شعر الشاعر ، وتاريخ حياته ونفسه .

وفى هذا النوع من **التاريخ النفسى** مزلة محتملة ، وهى أنـه قـد يدفـع البـاحث إلى أن يصـطنع منهـج **التاريــخ العــام** ، ويحكـم كحكمه ، وهما مختلفان ، فالتاريخ العام اقرار أحكام تاريخية من أخبار ووقائع قطعيــة موثقة ، والتاريخ الأدبى النفسى استنباط احكام أدبيـة نفسية من عبارات وجـدانية ، وتخييلات شـعرية عن طريق التذوق ، وليس فى الأحكام المستنبطة من بيان الوجـدان ، وتخييلات الشعر يقين كيقين النصوص الخبرية الموثقة ، وأقصى ما يقــال فيها أنها من الظن الراجــح ، فـلا ينى عليهـا جـرح للأدبـاء ولا تعـديل ، وبعـض دراسات التحليل النفسانى للنصوص تفعل هذا . ( انظر على سـبيل المثال : نفسية أبى نواس للدكتور النويهى : ١٩٧ ، ١٩٨ ) .

وهـذا البحـث يقـع فى دائـرة كتب ، وفصـول ، ومقـالات كثيرة سبقته إلى موضـوعه ، أو إلى شىء منه ذكرت بعضها فى لحـق المراجع ، ولكنى أرجو أن تكون فيه إضافة تقوم بما بذلت فيه من جهد. وأولى الكتب التى سبقته بالذكر ثلاثة : الأول : كتاب المتنبى للأستاذ محمود شاكر وقد ذكرت فضله على هذا البحث وصاحبه وله فضل لا ينكر على كل من كتب عن المتنبى بعده ، والثانى : كتاب أبو الطيب المتنبى فى مصر والعراقين للدكتور مصطفى الشكعة ، وفيه فصل طويل جـدا بعنوان : المتنبى فى مصر ( من ٢٤١ إلى ٤١٠ ) ، هو تاريخ أدبى عام لأبى الطيب وشعره فى مصر ، والثالث : كتاب كافوريات أبى الطيب:

دراسة نصية للدكتور النعمان القاضى ، وهو أقرب الثلاثة إلى موضوع كتابى هذا . وقد ذكر أنه بناه على **أربعة عناصر : الشاعر** وهو المتنبى، **والشعر** وهو المصريات ، **والممدوح** وهو كافور ، **والمكان** وهو مصر ، وأن غايته منه أن يكشف الخصائص التى تميزت بها القصائد المصرية توطئه لاستخلاص ما تميز به شعر المتنبى فى البيئة المصرية عنه فى البيئات الأخرى ( انظر : صفحة ١٣ ) . أما بحثى فإنه مقتصر على تتبع ما فى القصائد المصرية من دلالات على أحوال نفس المتنبى ، وشئونها ، دون غيره من الجوانب .

وجعلت الكتاب فى **ثلاثة فصول** عنونت لها على التوالى بـ **( الرجاء ) و ( الإخفاق ) ، و ( شفاء النفس )** . وهذا مما اقتضاه تقسيم الكتاب ، وإلا فإن هذه المعانى الثلاثة متداخلة قلما تخلو منها قصيدة واحدة من شعر المتنبى منذ أن دخل مصر إلى أن هرب منها ، وإنها لتتعاقب على نفسه فى المقام الواحد ، والحالة الواحدة ، وإن كان الرجاء الكسير أغلب عليه فى عاميه الأولين فى مصر ( ٣٤٦ هـ ، ٣٤٧ هـ ) ، واليأس والإخفاق وما تلاهما من التقوى وشفاء النفس أشد استيلاء على نفسه فى أعوامه الثلاثة الأخيرة عند كافور .

ولابد من الإقرار بأننى أعجلت فلم أعط هذا البحث كل حقه على عند الكتابة — وإن كان تفكيرى فيه عتيقا — وتركت كتابة أشياء كنت سودتها عن مطالع المصريات ، والتفاتاتها ، ومعجم معانيها وألفاظها، وما فيها جميعا من دلالات نفسية ، فهو إذن محاولة يمكن أن أزيدها يوما ، أو يزيدها غيرى ممن هو أقوى على مضغها منى ..

والحمد لله فى الأولى والآخرة ، والشكر له على توفيقه وإنعامه وصلى الله وسلم على نبينا الكريم محمد ، وعلى آله ، وأصحابه .

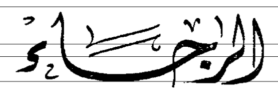
**أبو حازم**

**كمال عبد الباقى لاشين**

الجمعة ٥ فبراير ١٩٩٣ م

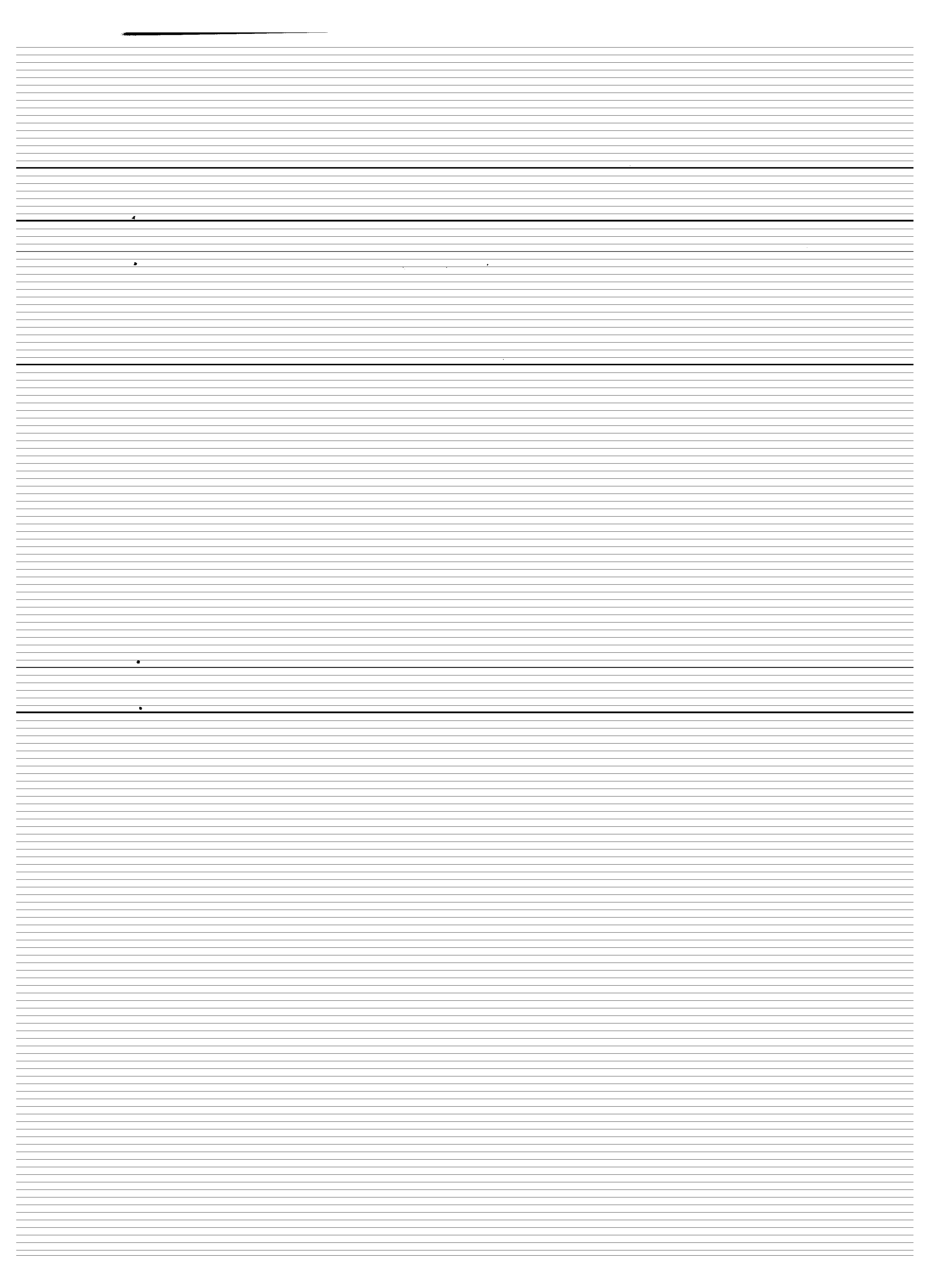
الموافق ١٤ من شعبان ١٤١٣ هـ

# الفصل الأول



واتعب خلق الله من زاد همه
وقصّر عما تشتهي النفس وجده

ديوان المتنبي ٢/٢٢



- ١ -

فى الخبر الذى رواه البديعى : أن المتنبى لما أدبر أمره فى حلب ، وخرج من عند سيف الدولة مغاضبا مال إلى الشام – وكانت أقرب البلاد إليه – وألقى بدمشق عصاه . وفيها لقى ابن ملك – وهو يهودىّ من أهل تدمر ، كان على دمشق من قبل كافور – فالتمس ابن ملك من أبى الطيب أن يمدحه ، فثقل على أبى الطيب مدحه ، وعافته نفسه ، فاحفظ ذلك ابن ملك ، وأغضبه .

ثم علم كافور بنزول أبى الطيب فى دمشق قريبا منه ، فأرسل إلى ابن ملك أن يبعث إليه به ؛ فأنف من ذلك أبو الطيب ، وقال : « مالى وللعبد ، وإن دخلت إلى مصر فما قصدى إلا ابن سيده » .

ثم نبت دمشق بأبى الطيب ، ولم تطب له ، فمضى إلى الرملة ونزل بأميرها الحسين بن طغج ، فمدحه ، وحمل إليه . ثم كتب كافور إلى ابن طغج فى أبى الطيب ، كما كتب إلى ابن ملك من قبل ، فأجاب المتنبى هذه المرة ، وصار إلى كافور(١) .

وفى رواية أبى العلاء المعرى فى ( معجز أحمد ) أن كافورا نفسه هو الذى كاتب المتنبى ، واحتال عليه بالمواعيد ، ليصيره إليه ، فلما وردت على أبى الطيب كتب كافور ومواعيده وهو بالرملة عند ابن طغج سار إليه ، وظن أنه لا يسومه سوم غيره ، ممن كان إذا حصل عنده أخذ ماله ، وأضعف حاله ، ومنعه من التصرف فى نفسه بما يحب(٢) .

ولا أدرى أهذه رواية غير رواية البديعى ، أم أنها هى ، ولكن

---

(١) انظر : الصبح المنبى ١١٠ .
(٢) انظر : معجز أحمد ١٦/٤ .

ابا العلاء تصرف فى متن الخبر - والقدماء قد يفعلون ذلك ، ويتسمحون فيه - ، وجعل مكاتبه كافور لعامليه على الشام والرملة : ابن ملك ، وابن طغج فى امر المتنبى بمنزلة مكاتبة المتنبى نفسه ؟ . على ان الروايتين تتفقان فى ان كافورا هو الذى طلب المتنبى ، ورغب فيه ، فانزله مصر ..

وفى رواية ابى العلاء هذه ان كافورا وعد المتنبى قبل نزول مصر، من غير نص فيها على الذى وعده به ما هو ؟ ، وسيذكر المتنبى بعد ذلك فى شعره ان كافورا قيده بمواعد كاذبة فى قوله :

أبا النتن كم قيدتنى بمواعد
مخافة نظم للفؤاد مروّع

وقدرت من فرط الجهالة اننى
اقيم على كذب رصيف مصنّع (٣)

ولكن ليس فى هذا الشعر ما يدل صراحة على أن موعدة كافور إياه كانت وهو فى الرملة لم يات مصر ، ولا على انه وعده بولاية أو ملك .

وابو الطيب يزعم فى بعض شعره أن نزول مصر كان رأيا له ، واختيارا ، نهى عنه ، وليم فيه ، ولكنه لم يستمع لنهى ناه ، أو لوم لائم يقول :

وما انا بالباغى على الحب رشوة
ضعيف هوى يبغى عليه ثواب

وما شئت إلا ان أدل عواذلى
على ان رايي في هواك صواب

---

(٣) معجز أحمد ٤/٤٤١.

واعلـم قوماً خالفونى فشرقوا
وغربت إنى قد ظفرت وخابوا (٤)

ويقول :

أبا المسك ذا الوجه الذى كنت تائقا
إليه ، وذا الوقت الذى كنت راجيا (٥)

ويقول :

يارجاء العيون فى كل أرض
لم يكن غير أن أراك رجائى (٦)

ويقول :

فلو لم تكن فى مصر ما سرت نحوها
بقلب المشوق المستهام المتيم (٧)

ويقول :

ولكن بالفسطاط بحراً ازرته
حياتى ونصحى والهوى والقوافيا (٨)

ومثل هذا فى مدائحه لكافور كثير ، ولكنه من كلام الشعر وحديث المدح الذى لا يعول عليه وحده فى معرفة حقائق الأنفس ، وما تخفى الصدور . وقد نقضه أبو الطيب بعد ذلك فى أهاجيه نقضا كما سترى.

وفى خبر عن أبى الفتح ابن جنى قال : كنت أقرأ على أبى الطيب ديوانه فقرأت قوله فى مدح كافور :

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب
وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

---

(٤) الديوان ١٩٩/١ .
(٥) نفسه ٢٨٩/٤ .
(٦) نفسه ٣٦/١ .
(٧) نفسه ١٣٩/٤ .
(٨) نفسه ٢٨٥/٤ .

حتى بلغت قوله :

ألا ليت شعرى هل أقول قصيدة
فلا أشتكى فيها ولا أتعتب ؟
وبى ما يذود الشعر عنى أقله
ولكن قلبى يا ابنة القوم قلب

فقلت له : يعز على أن يكون هذا الشعر فى ممدوح غير سيف الدولة ، فقال : حذرناه ، وأنذرناه فما نفع ... وهو الذى أعطانى لكافور بسوء تدبيره ، وقلة تمييزه(٩) .

فى هذا الخبر والذى قبله ربط بين نزول المتنبى مصر ، وقصده كافورا ، وبين ما آل إليه أمره بآخرة عند سيف الدولة ، وقول المتنبى: « هو الذى أعطانى لكافور » يشير إلى هذا المعنى ، وإن لم يكن فى فى قوله : حذرناه ، وأنذرناه دليل على أنه حذره بترك حلب إلى مصر بالذات ، وأنذره بأن يستبدل به كافورا على وجه التحديد وقد ذهب إلى هذا المعنى بعض الدارسين(١٠) . وليس فى أخبار أبى الطيب ما يدل عليه صراحة .

فإن قيل : ولماذا فى نزول مصر ، ومدح كافور من إغاظة لسيف الدول ؟ ، فالجواب من وجهين . الأول : أنه يستبدل بسيف بنى حمدان العربى ، الحر ، وارث المجد ، وربيب الملك عبدا ملكا ، ملكته الصدفة ، وأمره إدبار الزمان وحسبك بهذا إغاظة منه الثانى : أن سيف الدولة كان يمد عينيه إلى مصر من قديم ، ولم يكن مثل هذا ليخفى

(٩) ترجمة المتنبى من كتاب بغية الطلب لابن العديم نقلا عن : المتنبى لشاكر ٢/٢٩٣ . وانظر الصبح المنبى ٨٨ .
(١٠) الدكتور طه حسين مع المتنبى ٢٦٤ .

على أبى الطيب ، وحين اضطربت الأمور ببلاد الشام استولى سيف الدولة على دمشق ، وتقدم إلى الرملة ليغزو مصر ، فرماه الإخشيد بجيش عليه كافور ، فكسر سيف الدولة ، ورده إلى حلب ، ثم إلى الرقة .. ثم عاد فصالحه على أن يعود إليه - أى سيف الدولة - ما كان بيده من بلاد الشام(١١) . فإذا ترك المتنبى سيف الدولة بعد هذا ، فنزل مصر فى غضبة من غضبات نفسه ، واختار كافورا كان فيه من إغاظة سيف الدولة ، وإغضابه ما فيه . وفى خبر المحاجة التى جرت بين المتنبى وأبى عبد الله الحسين بن خالويه أن ابن خالويه وثب فضرب وجه المتنبى بمفتاح كان فى يده فشجه ، فما انتصر له سيف الدولة ، « فغضب فمضى إلى مصر فامتدح كافورا الأخشيدى »(١٢) . وفى هذا كله دليل على أن نزوله مصر له علاقة بما جرى له فى حلب .

وثمت أخبار وأشعار أخرى من أخبار أبى الطيب وأشعاره يفهم منها أن تفكيره فى مصر أقدم من نزوله دمشق والرملة ، ومكاتبة كافور لـه ، واستقدامه إياه ، وأنه عرض بذكرها وهو فى حلب حين ضاق به جوار سيف الدولة ، ومحنت نفسه محنتها عنده . فقد قال سنة ٣٤١ هـ ، فى الميمية التى وثق فيها محنته فى حلب :

يا من يعز علينا أن نفارقهم
وجداننا كل شىء بعدكم عدم

ارى النوى تقتضينى كل مرحلة
لا تستقل بها الوخادة الرسم

---

(١١) وفيات الأعيان ٢/٥٤٧ .
(١٢) ترجمة المتنبى لابن عساكر نقلا عن المتنبى لشاكر ٢/٣٢٠ . وانظره : ٢/٢٩٣ ، والصبح المنبى ٨٦ .

لئن تركن ضميرا عن ميامننا
ليحدثن لمن ودعتهم ندم
إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا
ألا تفارقهم فالراحلون هم(١٣)

قال أبو البقاء العكبرى فى تفسير البيت الثالث من الأبيات : « إن قصدت مصر ليحدثن لمن ودعتهم ندم »(١٤) . ومن هنا قال الدكتور طه حسين : إن المتنبى عرض بمصر وهو فى حلب ، وإنه لم يعدل عن العراق إلى مصر لأمر يرجع إلى الجغرافيا - أى لمروره إلى العراق بديار سيف الدولة - ولو أراد العراق لأمكنه(١٥) . وقال الأستاذ عبد الوهاب عزام : إنه لما عرض بمصر وهو فى حلب تلبث ريثما يبلغ كافورا ذلك ، فيدعوه ، فيذهب إلى مصر مطلوبا لا طالبا(١٦) .

ومصر نفسها لم تكن غريبة على أبى الطيب ، ولا بعيدة عن رأيه وقلبه ، ففى خبر رواه ابن العديم فى ( بغية الطلب ) ، - وإن لم يكن من مشهور أخبار المتنبى - انه نزل بمصر أول مرة سنة ٣٣٥ هـ - وانه رثى فى ذلك العام الأخشيد : أبا بكر بن طغج ، وعزى ولده بالقصيدة التى أولها :

هو الزمان مشت بالذى جمعا
فى كل يوم ترى من صرفه بدعا
إن شئت مت أسفا أو فابق مضطبرا
قد حل ما كنت تخشاه وقد وقعا

---

(١٣) الديوان ٣/٣٧٠ ، ٣٧٢ .
(١٤) هامش البيت ٣٢ ، الديوان ٣/٣٧٢ .
(١٥) مع المتنبى ٢٦٣ ، ٢٧٤ .
(١٦) ذكرى أبي الطيب ١٠١ .

**لـو كان ممتنـع تغنيـه منعتـه**

**لم يصنع الدهـر بالإخشـيد ما صنعا (١٧)**

فإن صح هذا الخبر فهو دليل على أن المتنبي نزل مصر أول مرة قبل أن ينزل حلب بعام ، وقبل أن ينزل مصر نزوله الثاني بنحو عشر سنين . ومن المعلوم أن الإخشيد توفى سنة ٣٣٤ هـ ، وأن كافورا صار الوصي على ولده ، وولي عهده من بعده أنجور ، وأنه كانت له الوصاية في الظاهر ، والولاية على الحقيقة ، وهـذا يعـني أن المتنبي ربما لقي كافورا أو عرف من أمره حين جاء ليعزي ولد الإخشيد ، وربما أدرك كافور نفسه يومها قيمة أن يعضد ملكه الذي يسعى في تعضيده بشـاعر مثل أبي الطيب ، وأنه لهذا كتب إليه بعد ذلك يستقدمه .

وقد حدث أبو الطيب عن نفسـه بأنـه دار الشـام كله : سـهله وجبله (١٨) . ومصر والشام كثيرا ما كانتا تجتمعان يومئذ في ولاية والٍ واحد ثم تفترقان ، ثم تجتمعان ، وهكذا . وهذا مما يستدل بـه على أن مصر لم تكن بعيدة عن رأس أبي الطيب ، وقلبه وهو يدور في بلاد الشام سهله وجبله .

وحاصل ما تقدم كله أنا إذا وضعنا مجيء المتنبي إلى مصر في سياقه من تاريخ حياته ونفسه وجدناه من جملة أسرار نفس الرجل ، ومن مشكل أمره ، لا يكاد يوقف له على سبب واحد لا يدخل معه غيره. وقد يكون فيما يأتي من البحث ما يقوي القول بأن خياره في نزول مصر كان ( خيارا نفسيا ) تأتي أسبابه من داخـل نفسه قبل أن تكون من

---

(١٧) ترجمة المتنبي لابن العديم نقلا عن المتنبي لشاكر ٢/٢٤٩،٢٩٤ .
وانظر معجز أحمد ٤/٤٤٠ .
(١٨) من بغية الطلب نقلا عن المتنبي لشاكر ٢/٢٥٦ .

خارجها ، وأنه كان خطة ركبها فى موقف من مواقف ثورة النفس ، وحالة من حالات زلزلتها . وسوف يقول هو نفسه بعد ذلك إنها كانت عثرة من عثرات حياته ، وخطة خسف ، ورأيا فائلا : وذلك فى قوله :

عثرت بسيرى نحو مصر فلا لعا
بها ولعا بالسير عنها ولا عثرا

وفارقت خير الناس قاصد شرهم
وأكرمهم طرّا لألأمهم طرّا

فعاقبني المخصّى بالغدر جازيا
لأن رحيلى كان عن حلب غدرا

وما كنت إلاّ فائل الرأى لم أعن
بحزم ولا استصحبت فى وجهتى حجرا (١٩)

## - ٢ -

والآن ننظر فى ما أورد المتنبى مصر ، وفى حاجة نفسه حين سيق إليها . لم يكن ( المال ) مطلبه فى مصر ، ولا أول رجائه عند كافور . كان فى خمول ، وفقر ، وسوء حال ، يتذأب فى بلاد الشام بعد سجنه وقبل اتصاله بأبى العشائر (٢٠) ، ويحث راحلتيه : الفقر والأدب كما قال فى قصيدة مدح بها المغيث بن على بن بشر العجلى :

فسرت نحوك لا ألوى على أحد
أحث راحلتىّ : الفقر والأدبا (٢١)

ولكنه منذ لقى بنى حمدان ، ثم قر قراره الطويل عند سيف الدولة ترك الفقر خلف ظهره وملأ يديه من الدنيا . وفى خبر يرجع إلى خصمه

---

(١٩) معجز أحمد ٤/٤٤٣ ، لعا : كلمة يدعى بها للعاثر ومعناها : الارتفاع ، والحجر بكسر فسكون : العقل . اللسان ( لعا ) و ( حجر ) .

(٢٠) انظر : الصبح المنبى ٦٨ .

(٢١) الديوان ١/١٢٠ .

ابى فراس الحمدانى أن سيف الدولة كان يعطى أبا الطيب ثلاثة آلاف دينار فى العام عن ثلاث قصائد يقولها فيه بل قيل : إن مجموع ما ناله من عطايا سيف الدولة فى أربع سنين خمسة وثلاثون الف دينار(٢٢) . فإن صح هذا فهو دليل على أن المتنبى كان قد جمع مالا وعدده يوم ترك حلب .

ويدل على ان المال لم يكن مقصده الأول يوم نزل مصر أنه تردد أول الامر فى القدوم على كافور وعنده الغنى حتى طلبه وألح فى طلبه ، وأنه ترفع عن مدح أبى الحسن بن الفرات المعروف بابن حنزابة وزير كافور ، مع شدة رغبته فى مدح المتنبى له(٢٣) ، ومع ما فى مدحه من جزيل العطاء . لو كان يريد العطاء .

وقد نال أبو الطيب المال فى مصر من أول يوم ، فقد أمر له كافور يوم نزل بمنزل ، وخلع عليه الخلع(٢٤) وذكر هو بعد هذا فى مدائحه لكافور أنه نال من عسجده ، وماله ، وأنه عاش فى بحر من عطاياه من ذلك قوله :

أنا اليوم من غلمانه فى عشيرة
لنا والد منه يفديه ولده
فمن ماله مال الكبير ونفسه
ومن ماله دَرّ الصغير ومهده !!(٢٥)

---

(٢٢) ترجمة المتنبى لابن عساكر عن المتنبى لشاكر ٣٢٤/٢ . وذكرى أبى الطيب ٨٨ .
(٢٣) انظر : معجم الادباء ١٦٣/٧ .
(٢٤) الصبح المنبى ١١١ .
(٢٥) الديوان ٣٤/٢ .

وقـوله :

وإنى لفـى بحـر مـن الخـير أصـله
عطاياك أرجـو مدّهـا وهى مـده

وما رغبـتى فى عسـجد اسـتفيده
ولكنهـا فى مفخـر أسـتجدّه

يجـود به من يفضح الجـوَد وجو'ده
ويحمده من يفضح الحمـد حمد'ه(٢٦)

ومثل هذا المعنى مكرر فى مدائحه .. ومع هذا ظل أبو الطيب يشكو شكوى لا تنقطع ، ويرجو رجاء لا يمل ، لأنه كان كما سنرى يريد شيئا أكثر من المال ، وأمراً فوق الغنى .

وأبو الطيب مرمى فى بعض أخباره بأنه ملحاح فى طلب المـال جماع له ، وبخيل به شحيح إذا حصل فى يديه(٢٧) ، وهى أخبـار أكثرها مرده إلى أعدائه وحاسديه . ولكن هذا لا ينفى أنه كان له تدبير فى المال ، وفلسفة فى طلبه لعلها خفيت على من رماه بالمسألة ووصمه بالشح .

كان أبو الطيب يرى فيما يرى حوله أن المال سبيل القوة ، وأن القوة سبيل المجد ، وهو باحث طول عمره عن المجد ، فليس له إذن غنى عن قوة المال .

وقد عبر عن هذا الرأى والتدبير فى قوله :

وأتعب خلـق اللـه مـن زاد همـّه
وقصـّر عمـا تشـتهى النفـس وجد'ه

---

(٢٦) الديوان ٢/٣ .
(٢٧) انظر : الصبح المنبى ٩٥ .

فلا ينحلل فى المجد مالك كله
فينحل مجد كان بالمال عقده
ودبره تدبير الذى المجد كفه
إذا حارب الأعداء والمال زنده
فلا مجد فى الدنيا لمن قل ماله
ولا مال فى الدنيا لمن قل مجده
وفى الناس من يرضى بميسور عيشه
ومركوبه رجلاه والثوب جلده
ولكن قلبا بين جنبىّ ماله
مدى ينتهى بى فى مراد أحده(٢٨)

فأبو الطيب عرف قوة المال منذ عقل الحياة حوله ، وبحث عن أسباب القوة فى عصره ، ولم يكن يوما أعرف بهذا منه يوم نزل مصر لأنه لم يرد القوة كما أرادها يومئذ .. وهذا هو أصل تدبيره فى طلب المال .. أما المال لذات المال فلم يكن ابدا رجاءه الأول يوم نزل مصر ، وسترى أن محنته فى مصر تتمثل فى أن كافورا كان لا يرى له إلا ما للشاعر المادح ، وكان هو يرى لنفسه ، ويريد لها ما لم تجر العادة بأن يعطى لشاعر مادح ، وهو الملك والولاية .

- ٣ -

كانت ( **الولاية** ) حاجة نفس المتنبى الأولى فى مصر ، ورجاءه الأعظم عند كافور ، طلبها فى أول شعر لقى به كافورا فى جمادى الثانية سنة ٣٤٦ هـ فقال :

إذا كسب الناس المعالى بالندى
فإنك تعطى فى نداك المعاليا

---

(٢٨) الديوان ٢/ ٢٢ ، ٢٣ .

وغير كثير أن يزورك راجل
فيرجع ملكا للعراقين واليا
فقد تهب الجيش الذى جاء غازيا
لسائلك الفرد الذى جاء عافيا (٢٩)

ثم عاد فطلبها فى مدحته الثانية التى قالها بعد نحو شهر من الأولى فقال :

يا رجاء العيون فى كل أرض
لم يكن غير أن أراك رجائى
ولقد افنت المفاوز خيلى
قبل أن نلتقى ومائى وزادى
فارم بى ما أردت منى فإنى
أسد القلب آدمى الرواء
وفؤادى من الملوك وإن كا
ن لسانى يرى من الشعراء (٣٠)

ثم عرض بطلبها فى قصيدة قالها بعد نحو خمسة أشهر من نزوله بمصر فقال :

قالوا هجرت إليه الغيث قلت لهم
إلى غيوث يديه والشآبيب
إلى الذى تهب الدولات راحته
ولا يمن على آثار موهوب (٣١)

وعرض أيضا بطلبها فى قصيدة قالها فى ذى الحجة من هذا العام فقال :

---

(٢٩) الديوان ٤/٢٩٠ ، وانظر : معجز أحمد ٤/٢٧ .
(٣٠) الديوان ١/٣٥ ، ٣٦ .
(٣١) الديوان ١/١٧٣ .

فإن نلت ما أملت منك فربما
شربت بماء يعجز الطير ورده

ووعدك فعل قبل وعد لأنه
نظير فعال الصادق القول وعده

فكن فى اصطناعى محسنا كمجرب
يبن لك تقريب الجواد وشده

إذا كنت فى شك من السيف فابله
فإما تنفيه وإما تعده

وما الصارم الهندى إلا كغيره
إذا لم يفارقه النجاد وغمده

وإنك للمشكور فى كل حالة
ولو لم يكن إلا البشاشة رفده

ثم يقول فيها :

وإنى لفى بحر من الخير أصله
عطاياك أرجو مدها وهى مده

وما رغبتى فى عسجد أستفيده
ولكنها فى مفخر أستجده (٣٢)

هذا ما قاله أبو الطيب من الشعر الذى طلب فيه الولاية والملك فى عامه الأول فى مصر ( سنة ٣٤٦ هـ ) . وفى تأمل هذه المقطوعات الأربع أمور ذات دلالة على حالة نفسه يومئذ ، فقد ابتدأ فطالب كافورا بولاية لا بمال على ما جرت به عادة الشعراء المادحين ، وكان جسورا فى الطلب واثقا حين عرض بملك العراقين ( فيرجع ملكا للعراقين

---

(٣٢) الديوان ٢٨/٢ ، ٢٩ . وفسر أبو العلاء ( المفخر ) هنا بأنه الولاية راجع : معجز أحمد ٧١/٤ .

واليـا ) وفسر العراقان بأنهمـا : البصرة والكوفـة(٣٣) ، أو عراق العرب ، وعراق العجم ، وآخره أعمال الرى(٣٤) ، وثانى التفسيرين أشبه بمذهب أبى الطيب ، ونفسه .

ولماذا العراقان دون غيرهما من البلاد ؟ . ربما كان لهذا عـلاقة بمحنة أبى الطيب فى الكوفة ، أو بمحنته فى حلب . وكأنى بأبى الطيب حين قال هذا كان فى حالة حلم من أحلام اليقظة ، فقد خـدع نفسـه أو خدعتـه ، فـرأى نفسـه ملـكا على العراقـين ، لـه ملك يضـم الكوفة التى بدأت فيها أولى فصول محنته النفسية ، ويفوق ملك حلب التى فارقها مطرودا مدحورا ، فيطوى بذلك صفحة الشاعر الذى يمـد يده ويريق ماء وجهه ، ليفتح صفحة الملك المقتدر الذى يصرف سيفه فى الرقاب ليبلغ ما يريد . ولولا ما كان فيه المتنبى من الحلم ، وخـداع النفس الـدال على خبئها لما جاء فى المدح بمثل هـذا المعـنى العجيب وهو : أن يعرض شاعر مادح لممدوح يلقاه أول مرة بملك العراقين .

وقد يقال هنا إن هذا المعنى من معانى المدح لا من معانى النفس. فأبو الطيب إنما قصد إلى المبالغة فى كرم الممدوح على عادة الشعراء، فانتهى به توليد المعنى إلى هذا القول البديع ، والغور البعيد ، وجعل كافورا يمنح ملك العراقين لمن جاءه راكبا رجليه ويهب الجيش الظافر للسائل الفقير الذى ترده اللقمة .

وقد وجدت المتنبى ذكر هذا المعنى نفسه من قبل فى مدح سيف الدولة فقال :

---

(٣٣) انظر : معجز أحمد ٢٧/٤ .
(٣٤) الديوان ٢٩٠/٤ هامش البيت ٣١ .

فتى يهب الإقليم بالمال والقرى
ومن فيه من فرسانه وكرامه
ويجعل ما خولته من نواله
جزاء لما خولته من كلامه(٣٥)

بل وجدته يذكر هذا المعنى فى مدح سعيد بن عبد الله بن الحسين الكلابى المنبجى ، - وهو مما قاله فى صباه - فيقول :

أرجو نداك ولا أخشى المطال به
يا من إذا وهب الدنيا فقد بخلا(٣٦)

وهو معنى قالت فيه الشعراء(٣٧) . وكثيرا ما يصعب التفريق بين معانى الشعر ومعانى النفس ، ولكنى أرى هذا المعنى - فى موقعه من قصيدة المتنبى التى هو منها ، وفى سياقه من تاريخ نفسه وطموحه - من معانى النفس قبل أن يكون من معانى المدح ، ومعانى الشعر هى فى الأكثر صورة معانى النفس وترجماتها .

ومن الطريف أن أبا الطيب جعل ملك العراقين عطية كافور لمن جاءه راجلا ، وأبو الطيب جاءه يومئذ راكبا فى خيل وفرسان كما قال فى تلك القصيدة :

ولكن بالفسطاط بحرا أزرته
حياتى ونصحى والهوى والقوافيا
وجردا مددنا بين آذانها القنا
فبتن خفافا يتبعن العواليا

---

(٣٥) الديوان ٤/٣ .
(٣٦) الديوان ١٧٢/٣ .
(٣٧) راجع المنصف لابن وكيع ١٢٤ .

تماشي بأيد كلما وافت الصفا
نقش به صدر البزاة حوافيا

وينظرن من سود صوادق فى الدجى
يرين بعيدات الشخوص كما هيا

وتنصب للجرس الخفى سوامعاً
يخلن مناجاة الضمير تناديا

تجاذب فرسان الصباح اعنه
كان على الأعناق منها أفاعيا

بعزم يسير الجسم فى السرج راكبا
به ويسير القلب فى الجسم ماشيا (٣٨)

فإذا كان ملك العراقين حق من جاءه راجلا فما حق من جاءه على هذه الصورة ؟! .

وذكر ان أبا الطيب لما انشد كافورا يائيته الأولى التى مطلعها :

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا
وحسب المنايا أن يكن امانيا

حلف ليبلغنه ما فى نفسه (٣٩) ، وكان هذا هو الذى حمله على التصريح بطلب الولاية ، وترك التعريض فى الهمزية التالية فقال :

فارم بى ما اردت منى فإنى
أسد القلب آدمى الرواء

وفؤادى من الملوك وإن كا
ن لسانى يرى من الشعراء

---

(٣٨) الديوان ٤/٢٨٥ ، ٢٨٦ .
(٣٩) انظر : معجز أحمد ٤/٤١ ، والصبح المنبى ١١١ .

وقوله ( ما أردت منى ) فى سياقه من الكلام ينصرف إلى الولاية، وقد فسره بهذا بعض شراح شعره(٤٠) ، ومما يدل على هذا قوله بعده : ( فإنى أسد القلب آدمى الرواء ) وقوله ( وفؤادى من الملوك ) .

وابو الطيب يقول هنا : ( ما أردت منى ) ، ولم يقل : ما أردت منك ، أو أملت فيك . ولهذا القول وجهان : أن يكون معناه ما كنت أردت منى قبل ، ووعدتنى به سلفا فيقوى هذا قول من يقول : إن المتنبى نزل مصر عن موعدة وعده بها كافور . أو يكون معناه أن المتنبى صدق كافورا فى قوله له بعد لقائهما الأول : لأبلغنك ما فى نفسك ، وتوهم أنه عرف ما فى نفسه وعزم على أن يوليه فقال: ما أردت منى .. وقد يكون الكلام لا هذا ولا ذاك ولكن حثا وتحضيضا لكافور لكى يوليه .. ويكون ذلك تلطفا منه فى الطلب ، واحتيالا فى بلوغ الأمل ، حين جعل الإرادة من كافور ، وإن كان هو المريد على الحقيقة .

وقول المتنبى :

وفـــؤادى مـــن الملـــوك وإن كـا
ن لســـانى يـــرى مـــن الشـــــعراء

عقيدة من عقائده ، توشك أن تكون مفتاح نفسه وشعره ، وهذا البيت يحمل رسالة طالما جاهد أبو الطيب فى أن يبلغها ممدوحيه ، فرأوا منه ما أرادوا هم ، ولم يروا منه ما أراد هو أن يريهم من نفسه . على هذا لقى من لقى من ممدوحيه ، وفارق من فارق ، ومن هنا كانت محنة نفسه : كان يرى أنه يحمل نفسه ملك وهمته ، ولسان شاعر

---

(٤٠) انظر : معجز أحمد ٤/٤٠ .

وقلبه(٤١) . وكان يريد ان يرى منه الملك كما يرى الشاعر ، وكان الممدوحون جميعا لا يبصرون منه إلا الشاعر المادح ، ولا يرونه أهلا لغير الصلات والعطايا . ومن هنا كانت ثورته على من لقى من ملوك الأرض، وتوعده لهم ، وفراقه إياهم .

ولما لم ير فيه كافور غير الشاعر المادح ، ولم ينله غير العطايا عاد أبو الطيب بعد خمسة أشهر من الرجاء ، والانتظار يعرض له بالولاية، ويحتال له حيلة حين يوازنه بسيف الدولة ثم يرفعه فوقه !! ، ويقول : إن سيف الدولة غيث ، وكافورا غيوث ، وإن سيف الدولة يعطى ثم يمن، ولكن كافورا يهب الدولات ولا يمن !! :

... إلى الذى تهب الدولات راحتـــه
ولا يمـــن عـــلى آثـار موهـــوب

قال أبو العلاء : فى هذا البيت تعريضان : تعريض لكافور بأن يوليه ولاية ، وتعريض بسيف الدولة بأنه كان يمن بما يعطى(٤٢) .

والمتنبى يتصعد كما ترى فى الرجاء ، وفى خداع النفس فقد جعل كافورا فى القصيدة الأولى يهب ملك العراقين ،ويعطى الجيش الظافر، وهو يجعله هنا يهب الدولات ، لا دولة واحدة .. وهذا إن حمل على الجد كان من غرائب الطموح والطمع ، وخداع النفس .

وبعد نحو سبعة أشهر من إخلاف الرجاء بقى أبو الطيب متعلقا برجائه ، وإن تغيرت لهجته . فقال أبياته الدالية التى نقلناها آنفا وكانت آخر ما قاله فى عامه الأول فى مصر . وهذه الأبيات مزيج من الشك فى بلوغ الرجاء ، والضجر من طول الانتظار فهو يقول لــه :

---

(٤١) وراجع : فن المتنبى بعد الف عام ١٧٠/١٧١ .
(٤٢) انظر : معجز أحمد ٥٣/٤ .

« فإن نلت ما أملت منك » فيصدر الكلام بإن الشاكة ، ويعود إلى نفسه فيعترف بأن ( طلب الولاية ) أمله هو ، لا إرادة كافور ، وإن عاد يستنجز كافورا وعده ..

وقد خضع أبو الطيب فى هذه الأبيات خضوعا ظاهرا كما ترى، ونزل من نفسه عن بعض ما لم يكن ينزل عنه وكاد يستجدى الولاية ، أو هو استجداها .. ترى هذا فى قوله :

( فكن فى اصطناعى محسنا كمجرّب )

وقوله :

إذا كنت فى شك من السيف قابله

فإما تنفيه وإما تعده

وقوله :

وإنك للمشكور فى كل حالة

ولو لم يكن إلاّ البشاشة رفده

وهذا البيت الأخير ـ مع ما فيه من الخضوع ـ من مقدمات يأسه..

ولعلك ترى أن المتنبى فى هذه الأبيات يبدو كمن يتبرّج لكافور ( تبرج الأنثى تصدت للذكر ) ويريه من نفسه ما لا يراه كافور ، أو هو يراه ولا يجيبه إليه . وإنه ليبلغ فى هذا المبلغ البعيد حين يقول لكافور :

ألا ليت يوم السير يخبر حرّه

فتسأله والليل يخبر برده

وليتك ترعانى وحيران معرض

فتعلم إنى من حسامك حدّه

وانى إذا باشــرت أمراً اريــــده
تدانت أقاصيه ، وهــان أشــده(٤٣)

وابو الطيب مع تضعضع نفسه فى هذه الأبيات لقوة الطمع والرجاء يعود فيستقوى فى آخرها حين قال : « إذا باشـرت أمراً أريـده .. » وهذا هو عود مذهب ابى الطيب ، والاشبه باصول نفسه ، ولكنهـا هنا بئس رسول المحتـاج ، والاولى بحـال الطالب الراجى أن يقول : « أمراً تريده » وقد قال قبل فى الهمزية : « ما أردت منى » . ولا نعلم إن كان قال هذا ابتداء ، أو انه قال : « أمرا تريده » ثم غير الرواية، او غيرت بعده . وهذه الاشارات لم تكن لتخـفى على كافور ـ وكان موصوفا بالفطنة ـ وما كان أعداء المتنبى ليدعوها له .

* * *

كان رجاء المتنبى فى عامـه الأول فى مصر ( ٣٤٦ هـ ) ـ فى الأغلب ـ رجاء جسورا مدفوعا بأمل صادق او كاذب ، ولكنـه صـار فى عامـه الثـانى ( ٣٤٧ هـ ) رجـاء حييا مهموسا فى يأس صرف او ممزوج بكاذب الأمل : ففى الميمية التى قالها فى ربيع الثانى سـنة ٣٤٧ هـ ، عاد يطالبه ، ويستنجزه وعده ولكن بكلام غير الكلام الأول، ومن نفس ليست كالنفس الأولى ، يقول له :

أبا المسك أرجو منك نصـراً على العدا
وآمــل عــزاً يخضب البيض بالــدم
ويوماً يغيـظ الحاســـدين وحــالة
اقيـم الشـقا فيهـا مقـام التنعـم

---

(٤٣) الديوان ٢٦/٣ ، ٢٧ .

ولم ارج إلا اهل ذاك ومن يرد
مواطر من غير السحائب يظلم

فلو لم تكن فى مصر ما سرت نحوها
بقلب المشوق المستهام المتيم

ولو كنت ادرى كم حياتى قسمتها
وصيرت ثلثيها انتظارك فاعلم

ولكن ما يمضى من العمر فائت
فجد لى بخظ البادر المتغنم

رضيت بما ترضى به لى محبة
وقدت إليك النفس قود المسلم

ومثلك من كان الوسيط فؤاده
فكلمه عنى ولم اتكلم(٤٤)

فهذا الشعر وما بعده ابتداء مرحلة فى رجاء أبى الطيب تخالف ما قبلها ، فليس هنا ذكر وهب ملك العراقين ، والجيش الظافر ، ولا وهب الدولات .. بل هو يطلب نصرا على العدا ، ويوما يغيظ الحاسدين ، وحالة يشقى بها أعداؤه بعد تنعم . وهو فى هذا يطلب أيضا الولاية ولكن بكلام غير الكلام الأول ، وبحالة نفسيه تخالف الحالة الاولى .

وفى هذه الأبيات المعنى الذى وجدناه فى الأبيات قبلها ، وهو التخشع فى الطلب ، والخضوع عند الرجاء ، وسوم نفسه ما ليس فى طبعها .. ترى هذا فى قوله : « أرجو منك نصرا على العدا » وقوله : « ولم ارج إلا أهل ذاك » وقوله : « فلو لم تكن فى مصر ما سرت نحوها ... » وقوله : « ولو كنت أدرى كم حياتى قسمتها ... » وقوله:

---

(٤٤) الديوان ١٣٨/٤ ، ١٣٩ ، ١٤٢ .

« فجد لى بحظ البادر المتغنم » وقوله : « رضيت بما ترضى به لى محبة .. » وقوله : « وقدت إليك النفس قود المسلم » وقوله : « ... فكلمه عنى ولم اتكلم » ومن وقف على حقيقة رأى أبى الطيب فى نفسه قبل مصر ، وما كان يدعيه لها من العزة والترفع ثم تأمل معانى هذه الأبيات عرف ما فيها من الدلالة على حالة من حالات الطمع المذل ، والرجاء اليائس . وآخر الأبيات يدل على حالة نفسية غير التى يدل عليها أولها ..

وأبو الطيب يذكر هنا الأعداء والحاسدين ، وهو يذكرهم أكثر ما يذكرهم فى حالات ثورة نفسه وشقائها .. ويأسها ، ومن الملاحظ أنه لم يذكرهم قبل هذا حين كان الأمل أقرب إلى نفسه .. وكأنه بنى آماله فى إغاظة أعدائه ، وكبت حسّاده فى حلب وغيرها على إدراك ولاية من كافور يبلغ بها ما سعى إليه من المجد ، فلما بدا الحرمان أقرب إليه ، واليأس أغلب عليه تجسّد أعداؤه وحُسّاده له ، يخرجون له ألسنة الشماتة فطلب كبتهم ، والنصر عليهم ..... والمتنبى قوى الاحساس جدًا بما له من أعداء وحاسدين ، وربما أخرجهم الوهم له اخراجا . ولعل سيف الدولة كان من جملة مقصودية لأنه يقول لكافور فى هذه القصيدة :

قد اخترتك الأملاك فاختر لهم بنا
حديثا وقد حكمت رأيك فاحكم(٤٥)

وفى هذه القصيدة معنى من المعانى النفسية التى قويت فى شعر المتنبى بعد هذا ، وأسلوب من أساليبه الحاملة لمعانى نفسه ، الواشية بدفائنها . وذلك فى قوله :

(١٤٥) الديوان : ٤/١٤٠ .

ولم ارج إلاَّ أهل ذاك ومن يُرد
مواطر من غير السحائب يظلم

فقوله : « ولم أرج إلاَّ أهل ذاك » كلام من كلام اللسان ، وصنعته من صنعة البيان ثم إنه التفت بعده التفاتا نفسيا ذكيا فقال : « ومن يرد مواطر من غير السحائب يظلم » وفى هذا الالتفات دمغ نفسه بأنها ركبت الخطة الخاسرة ، واتت الأمر من غير بابه ، واستمطرت السحائب العقم .. وهذا من شعره الذى تنازعت فيه النفس واللسان .. وسيكثر فى شعره بعد هذا .

ومما يجب معرفته هنا أن نفس المتنبى جاشت جَيْشها ، واشتكت شكواها فى هذه القصيدة والتى قَبلُها والتى بعدها مع اتصال عطاء كافور ، وهداياه .. وهذا من الأدلة على ما تقدم من أن المال لم يكن حاجة نفس المتنبى فى مصر ، وإنما الملك والولاية .

ومرّت على أبى الطيب أيامه ثقيلة ، ولياليه طويلة ، حتى كان شوال سنة ٣٤٧هـ فعاد يطلب الضيعة أو الولاية من كافور بلفظ صريح ، تاركا التعريض ، ولطف الطلب ، بعد ما مطله كافور ، وداوره ، وتركه بين الرجاء واليأس مشدوداً على مثل ظهر الأفعى .. فقال لكافور : جئت أطلب ملكا لا مالا ، فإن ملكتنى فذلك ما أردت ، وإلاَّ فما اعطيت شيئا وإن كثرت عطاياك :

أبا المسك هل فى الكأس فضل أنا له
فإنى أغنى منذ حين وتشرب

وهبت على مقدار كفى زماننا
ونفسى على مقدار كفيك تطلبُ

**إذا لم تنط بى ضـــيعة أو ولاية**

**فجودك يكسونى وشغلك يسلب(٤٦)**

وهذا رجاء قانط ، وسؤال يائس ، وحديث بائس محروم مع أنه قال هذه القصيدة بعد أن حمل إليه كافور ستمائة دينار ·· وهذه الصورة التى استعارها المتنبى لكافور ولنفسه ـ أعنى صورة الشارب الريّان ، والمغنى الظمآن من الصور النفسـية الفـذة التى لا يكاد الكلام يبـلغ اغـوارها ، وهى تكشف المـورد الـذى اورد المتنبى رجاءه فى مصر ، وعند كافور ·

* * *

وفى منتصف عامه الثالث فى مصر ( سنة ٣٤٨هـ ) خلع أبو الطيب ثوب الأمل الكاذب ، والرجـاء الخلق ، وذلك فى القصيدة التى قالها فى ذكر خروج شـبيب العقيلى على كافور ، ولـم يقلهـا حتى طلبها كافور · وفيها انتصرت نفسه على لسانه ، ووجدانه على صنعة بيانه ، ولم يطلب فيها ولاية تصريحاً أو تعريضا كما كان يطلب ، وإنما قال :

**اراد لى جميلا جُد أو لم تجديه**

**فــإنك مــا أحببت فىّ اتانى**

**لـو الفـلك الدوار أبغضت سـعيه**

**لعــوقه شىء عن الدوران(٤٧)**

وهذا كلام نفس جديدة ، وبداية مرحـلة من تاريخ نفس ابى الطيب فى مصر ·

هذا هو تاريخ رجـاء ابى الطيب فى مصر ، وطلبـه الولايـة من كافور كما دلّ عليه شعره ، وقد طلب فيه ولاية عامة ، ولم يحـدد

---

(٤٦) الديوان : ٨٦/١ ·
(٤٧) الديوان : ٢٤٧/٤ ·

شيئاً من البقاع إلا ما كان من ذكر العراقين ، وبعض أخباره تدل على أنه طلب ولاية صيدا(٤٨) من بلاد الساحل ، أو ناحية من بلاد صعيد مصر(٤٩) .

وهذا الذى دلّ عليه شعر المتنبى دلالة ظاهرة من طلب الولاية من كافور هو ما قال به كثير من مؤرخى حياته وشعره قديما وحديثا(٥٠) ، فيكون من الخطأ الجلى بعد هذا ما ذكره الدكتور منجى الكعبى : من أن ما قيل عن طلب المتنبى الولاية من كافور هو من الأوهام والأغاليط ، وأنه دسيسة دسّت اعتماداً على بيت واحد يوهم ظاهره طلب الولاية ، ولم تكن هناك بالمرة فى رأس المتنبى فكرة اقتضاء ولاية ، أو ضيعة من كافور(٥١) .

- ٤ -

ولم يكن طلب المتنبى الولاية من كافور أمراً عرض له فى مصر ، إلا يكن طلب الملك فهو من مقدماته وأسبابه . قال فى شعر صباه :

ومن يبغ ما أبغى من ( المجد والعلا )

تساوى المحايا عنده والمقاتل(٥٢)

---

(٤٨) ترجمة المتنبى لابن عساكر نقلا عن المتنبى لشاكر : ٣٢٥/٢ .
(٤٩) السابق والصحيفة . وانظر الخزانة : ٣٥١/٢ .
(٥٠) من القدماء : الثعالبى : اليتيمة : ١١٣/١ ، وابن زيد التكريتى الشاعر . الصبح المنبى : ٩٥ وابن عساكر . المتنبى لشاكر : ٣٢٥/٢ ، والمقريزى فيه أيضا : ٣٥١/٢ ، والبديعى فى الصبح المبنى : ١١٣ وغيرهم ومن المحدثين : العقاد : مطالعات فى الكتب : ٢٠٨ ومحمود شاكر : المتنبى : ٢٥٧/١ والنعمان القاضى : كافوريات أبى الطيب : ١٦٢ وغيرهم .
(٥١) انظر المتنبى مالىء الدنيا وشاغل الناس : ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ .
(٥٢) الديوان : ١٧٧/٣ .

وقال لمعاذ اللاذقى حين لامه على ركوب المخاطر :

**ذكرتَ ( جســيم مطلَبى ) وانا**
**نخــاطر فيــه بالمهج الجسام(٥٣)**

وفى المرحلة التى توسطت فراقه التنوخيين ، ونزوله ببدر بن عمار قال من شعر فى وصف كلب أرسله أبو على الأوراجىّ على ظبى :

**إذا بقيــتَ ســالمِاً ابــا عــلى**
**( فالملك لله العزيز ثم لى )(٥٤)**

وقد قيل : إنه ارتجل هذه القصيدة ، ومرتجل الشعر أول على ما تأصل فى نفس المرء ، وانعقدت عليه · والقصيدة فى ثمانية وعشرين بيتا فلعله أعدها سلفا ، أو ارتجل بعضها منها ، ثم زاد فيها ·

وفى قصيدة ذكر فيها تصعلكه فى الصــحراء بعد رحيله عن على ابن احمد المرى زعــم أن له حاجة لم يبلغ منها شيئا مــع شدة الطلب :

**فقل فى ( حاجة ) لم أقض منها**
**على شغفى بها شروَى نقير(٥٥)**

وهذا البيت وارد فى سـياق غناء نفس حزين قال فيه المتنبى إنه طالمـا عرض للرماح نحره ، ونصب للهواجر وجهه ، وشق رداء الليـل وحده ، وإنه منىّ بقـلة الناصر ، وحسد الحاسد ، وعداوة الدهـر حتى كل شىء فيــه عدوه ، وإنه محسود على كل شىء حتى على حياته ، ومستكثر عليل كل أمر حتى سروره ·

وفى قصيدة تالية لهذه مدح فيها القاضى أبا عبيد الله محمد بن عبيد الله الانطاكى ، سمى ما عقد قلبه عليه ( حالا ) يرجيها وتخلفه فقال :

---

(٥٣) الديوان : ٤/٤٥ ·
(٥٤) نفسه : ٣/٢٠٨ ·
(٥٥) نفسه : ٢/١٤٢ ·

لله ( حـــال ) ارجيُهـا وتخلفنى

واقتضى كونهـا دهرى ويمطلنى(٥٦)

وسماه فى مرثية جدته - وهى من أقوى شعره النفسى - ( حَظـًا )

فقـال :

طلبت لها ( حَظـًا ) ففاتت وفاتنى

وقد رضيت بى لو رضيت بها قَسْما(٥٧)

ويبعدُ تفسير الحظ هنا بالرزق والغنى لأنه قال بعد هذا البيت :

يقولـون لى : ما أنت فى كل بلـدة

وما تبتغى ؟ ما ابتغى جلّ أن يسمى(٥٨)

فليس طلب المـال والبحث عن الرزق مما يسأل عنه فى كل بلدة ،
ويجل عن أن يسمَى .

وقال فى مِدحة لأحمد بن عمران :

و ( مطـالب فيهـا الهـلاك ) أتيتها

ثبتَ الجنـان كاننى لم آتهـــا(٥٩)

وفى قصيدة مدح بها محمد بن سيار بن مكرم التميمى قال :

ساطلب ( حقىَ ) بالقنـا ومشــايخ

كانهم من طـول ما التثموا مرد(٦٠)

كل هذا قاله قبل لقائه أبا العشائر الحمدانى . وقال لأبى العشائر
حين لقيـه :

(٥٦) الديوان : ٢١٣/٤ .
(٥٧) نفسه : ١٠٥/٤ .
(٥٨) نفسه : ١٠٧/٤ .
(٥٩) نفسه : ٢٨٨/١ .
(٦٠) نفسه : ٣٧٣/١ .

فسرت إليك فى طلب ( المعالى )
وسار سِوَاى فى طلب المعاش(٦١)

وقال فى إحدى مدائحه لسيف الدولة :

أهم ( بشىء ) والليالى كأنها
تطاردنى عن كونه وأطارد(٦٢)

وقال له فى أخرى :

ولست أبالى بعد إدراكى ( العلا )
أكان تراثا ما تناولت أم كسبا(٦٣)

فأبو الطيب يذكر فى ما سلف من الشعر ( المجد والعلا ) ، و ( جسيم مطلبه ) ، و ( حاجته ) التى شغف بها ، و ( حالة ) يرجيها وتخلفه ، و ( حظا ) طلبه لنفسه ولجدثته ففاته وفاتته ، و ( مطالب ) فيها الهلاك و ( حقاً ) يطلبه بالقنا والمشايخ .. ، و ( معالى ) سار فى طلبها وشغل غيره عنها بطلب المعاش ، و ( شيئا ) يطارد الليالى عن كونه ، وتطارده و ( العلا ) الذى يجد فى طلبه ، ولا يبالى إذا أدركه أجاءه عن تراث أم كسب . وهذا كله ينحل إلى معنى واحد هو جماع رجاء أبى الطيب ، وهو المجد والعلا . ومن الواضح أنه لم يصرح فى هذا الشعر بطلب الولاية أو الضيعة كما طلبهما فى مصر من كافور ، ولكن شعره كله فى هذا الباب يرجع إلى أصل واحد هو الولاية والملك لأنهما السبيل إلى ما أراد من المجد والعلا . وبهذا يصدق قول الثعالبى فيه . إنه منذ لبس ثوب صباه ، إلى أن أخلق بُردْ شبابه ، وتوالت عقود عمره ، يدور حب الولاية والرياسة فى رأسه ، ويذكر

(٦١) الديوان : ٢/٢١٦ .
(٦٢) نفسه : ١/٢٧٠ .
(٦٣) نفسه : ١/٦٠ .

ما يذكر من الخروج على السلطان ، وركوب السيف ، والاستظهار بالفرسان والشجعان ، ويستكثر من هذا (٦٤) .

ومن الأدلة على أنه ظل طوال عمره يطلب المجد ، ويسعى إلى الملك ، - وإن اختلفت أساليبه فى التعبير عنه ، وتعددت حيله للظفر به - أن ( العلا ) الذى ذكر فى شعر صباه أنه يبغيه ، ويستقتل دونه ظل حاجة نفسه فى آخر شعر نظمه فى مصر فقال :

لولا ( العلا ) لم تجبْ بى ما أجوب بها
وجناء حرف ، ولا جرداء قيدود (٦٥)

- ٥ -

قيل فى وصف أبى الطيب إنه طلب الولاية غلابا فى أول عمره ، فلما أعجزه ذلك عاد فى أدبار عمره يلتمسها سؤالا ، ويرجوها نوالا (٦٦) . وهذا قول يصححه إلى حد بعيد تأمل شعره فى مصر وقبلها ، وما يدل عليه ذلك الشعر من تغير أساليب أبى الطيب فى بلوغ مآربه .

كان يقول فى جمادى الآخرة سنة ٣٤٠هـ فى إحدى مدائحه لسيف الدولة :

إنما انفس الأنيس سباع
يتفارسن جهرة واغتيالا

---

(٦٤) انظر : يتيمة الدهر : ١١٣/١ ، وراجع أعيان الشيعة : ٥١٧ ، والصبح المنبى : ٩٥ .
(٦٥) الديوان : ٤٠/٢ .
(٦٦) عبد الرحمن صدقى مقال : جنون العظمة فى المتنبى من كتاب : أبو الطيب : حياته وشعره ( مقالات مجموعة ) : ص ٦٥ .

**من أطـاق التماس شيء غـلابا**

**واغتصـابا لم يلتمسه سـؤالا(٦٧)**

وهذا القول يمثل مذهبه منذ أن ترك الكوفة إلى أن لقى سـيف الدولة أصدق تمثيل ؛ فقد ظن قبل سجنه أنه مستطيع بلوغ أمله غلابا ، فأكثر من ذكر ركوب السيف ، وإراقة الدماء ، وتضريب أعناق الملوك ، وسفك دم الحواضر والبوادي ، وأسرف في هذا إسرافا فتح عليه الأعين في مطالع حياته ، وكان بعدّ من أقوى أسباب حرمانه . فلما عضّـته قيود السجن سـنة ٣٢٢هـ تخفف من بعض ثورته ، وإن كان لم يفـارق مذهبه .

ولكنه لمـا لم ينل ما أمله غـلابا ، وامتحنت نفسـه امتحانها في حلب ، رأى أن يغير مذهبه ، ويفارق أسلوبه الأول ، ولو إلى حين ، وحدثته نفسـه بأن الأقرب إلى بلوغ آماله أن يرجوها سؤالا ونوالاً ، وإن يحتـال لبلوغها احتيالا ، والكريم يحتال على العلياء كما قال(٦٨) هو نفسه .

ترك أبو الطيب مذهبه في ركوب السيف فيما قال من الشعر في مصر قبل أن يخيب رجاؤه ، ويستعلن يأسه ، ولم يظهر في شعره شيء مما كان يلهج به من مقت الملوك ، ومعاداتهم ، والخروج عليهم ، وجعل مدحه لكافور مركبه إلى ما أراد ، وافرط في بعضه إفراطا ، نزل فيـه بنفسـه نزولا لا يتفق وعمودَ شعره ، ولا يلتئم مع طبيعة نفسه(٦٩) ،

---

(٦٧) الديوان : ١٤٧/٣ .

(٦٨) من قوله في مدح فاتك :

لطفت رأيك في برى وتكرمتى　　　إن الكريم على العلياء يحتال

الديوان : ٢٨٦/٣ .

(٦٩) انظر ما سبق ص ٢٧ .

وطلب فى بعضه من كافور أن يصطنعه ، وان يجربه تجريب السيف ثم يثبته بعد هذا أو ينفيه ، ورضى أن يصير ثلثى حياته انتظاراً لوفاء كافور بوعده ، لولا أنه لا يدرى كم حياته ، وأن ما يمضى من عمره ليس بعائد ، ويقول : إنه قاد إليه قَوْدَ المسلم المذعن .

وأبو الطيب لا يعبر فى هذا قطعا عن حقيقة نفسه ، وخبىء صدره ولكنه الاحتيال لبلوغ الآمال ، ولقد قال لكافور من أجل هذا ما لم يقله لأحرار الملوك ، وطابت نفسه له بما لم تطب بمثله لمن كان فوقه من ممدوحيه السابقين .

وقد صرّح أبو الطيب بعد هذا - فى بعض ما هجا به - بأنه كان يحتال فى جذب كافور ليحقق له آماله ، ويبلغه حاجة نفسه ، ولكنه كان كمن يحلب الصخر ، ويستمطر السحائب العقم فقال :

لا ينجز الميعاد فى يومه ولا يعى ما قال فى أمسِهِ
وإنما تحتال فى جذبه كأنك الملاح فى قَلْسِهِ (٧٠)

وكان أبو الطيب يقول قبل مصر : ليس التعلل بالآمال من أربى ولكنه خلال عامى ٣٤٧هـ ، ٣٤٨هـ - قبل أن ينقطع من كافور رجاؤه - يتعلل بالآمال ، ويخدع نفسه فى بعض ما قال

وقد حاولت أن ألتمس تفسيرا لهذا التحول النفسى عند المتنبى فبدا له أنه راجع من بعض الوجوه إلى اعتقاد المتنبى أن مصر هى فرصته الأخيرة فى بلوغ رجائه الذى عاش حياته يطلبه ، ولهذا كان يعض عليه ، ويحتال لبلوغه . ومما دفعه إلى هذا أن كافوراً كان قد

---

(٧٠) الديوان : ٢٠٤/٢ . والقَلْس : حبل السفينة الذي تجذب به . الهامش .

عرّف ما فى نفسه ، واطلع منها على ما ظن أبو الطيب أنه يخفيه ، فكان يسوسه سياسة ذكية فيدنيه من أمله ، ثم يقصيه ، ثم يعود فيدنيه .. ويدس عليه ما يطمعه ، ثم يعود فيبدى له ما ييئسه .. وهكذا .

ولهذا التحول النفسى سبب آخر فيما أرى وهو أن المتنبى كان يكاد يموت كمداً إذا فكر فى شماتة سيف الدولة ، ومَنْ فى حلب به حين يعود بخيبته ، واخفاقه ، وعار نفسه . فكان هذا يدفعه إلى الإكثار من الطلب ، وتكرار استنجاز الوعد ، ويصبّره على المطل ، ويجرعه غصصه ، ويزين له التعلق بكاذب الأمل فى حالات اليأس ولهذا وجدته فى القصيدة التى قالها لما بلغه أنه نعى فى مجلس سيف الدولة - وهى من أقوى قصائده النفسية - = يقول لكافور :

وإن تأخرّ عنى بعض موعده
فما تأخرّ آمالى ولا تهن

هو الوفى ولكنى ذكرت له
مودة فهو يبلوها ويمتحن(٧١)

وقد فسر أبو العلاء قوله : ( بعض موعده ) بما كان وعده به من الولاية وغيرها . وأبو الطيب يقول هذا فى أوائل سنة ٣٤٨هـ ، وهى السنة التى غلب يأسه فيها أمله ، وانقطع رجاؤه من كافور ، أو كاد . ولكن خوفه من الفشل يحمله على التعلق بكاذب الأمل .

ويدخل فى احتيال المتنبى لبلوغ أمله فى الملك والولاية ، وحسن تأتيه لهذا = قصيدته التى قالها فى الخلاف الذى وقع بين كافور وانجور ، وهى قصيدة فى الصلح ، ودعوة إلى السلم ، غريبة فى

---

(٧١) الديوان : ٤/٢٣٩ . ومعجز أحمد : ٤/١٢٢ .

تاريخ شعر المتنبى وتاريخ نفسه .. فالمتنبى شاعر السيف والدم ولكنه فى هذه القصيدة يبارك الصلح ، ويدعو إلى السلم ، ويذم الاختلاف ويوظف التاريخ لهذا فينتزع أمثلة للأمم التى اختلفت فبادت وهلكت فيقول :

حسم الصلح ما اشتهته الأعادى
واذاعته ألسنُ الحسّاد

وارادته انفس حال تدبير
ك ما بينها وبين المراد

صار ما أوضع المخبون فيه
من عتابٍ زيادةً فى الوداد

وكلام الوشاة ليس على الأحـ
ـباب سلطانه على الأضداد

إنما تنجح المقالة فى المر
ء إذا صادفت هوى فى الفؤاد

ولعمرى لقد هززتَ بما قيـ
ـل فالفيت أوثق الأطواد

قد يصيب الفتى المشيرُ ولم تجهد
ويشوى الصوابَ بعد اجتهاد(٧٢)

وهو يثنى على كافور فى هذه القصيدة ثناءً صدق شايعت نفسه فيه لسانه ، أو كادت فى ظاهر الشعر فيقول :

ففدًى رأيك الذى لم تفدْه
كل رأى معلَّم مستفاد

وإذا الحلم لم يكن فى طباع
لم يحلم تقدمُ الميلاد

فبهذا ومثله سدت يا كا
فور واقتدت كل صعب القياد ..

---

(٧٢) الديوان : ٣٢/٢ .

ويبلغ فى مدح كافور ودولته كل مبلغ حين يقول :

هـذه دولـة المـكارم والـرأ
فة والمجـد والنـدى والايادى

كسفت ساعة كما تكسف الشمـ
س وعادت ونورها فى ازدياد

يزحم الدهـر ركنها عن آذاها
بفتى مـارد من المـرّاد

متلف مخلف وفىّ أبىّ
عالم حازم شجاع جواد(٧٣)

وغرابة هذه القصيدة فى تاريخ شعر المتنبى ونفسه أنها دعوة إلى السلم ، وحرب على الاختلاف والحرب .. وهذا كله خلاف الأشهر من مذهبه وهو ركوب السيف ، واعماله فى الرقاب ، وانها من شعره القليل فى مصر الذى لم يتنازع فيه قلبه ولسانه ذلك التنازع الذى كان الطابع الأعظم والاغلب على شعره فى مصر قبل أهاجيه المرّة .

والأقرب فى تفسير هذه القصيدة فى سياقها من تاريخ شعر المتنبى ونفسه فى مصر أنها من احتياله ، وحسن تأتيه لآماله .. قالها قبل أن يغلبه اليأس ، وينقطع رجاؤه ، وانحاز فيها لكافور ليدفع عن نفسه ما كان أحاط بها من الشك والشبهة ، وليغسل بها ما كان قاله قبل ذلك فى غضبة من غضبات نفسه - إن كان قاله - : إن دخلت مصر فما قصدى إلى العبد ، وإنما قصدى إلى ابن سيده .

---

(٧٣) الديوان : ٣٧/٢ .

وفى القصيدة بعد هذا دلالات نفسية على ما كان أبو الطيب يحاول أن يخفيه ولكنه يغلبه فيبدو فى ثنايا قوله ، أو ينطوى فى ثنايا حكمته .. والأرجح عندى أنا أبا الطيب كان يرى من الخير فى انتقال الأمر إلى أنجور ما لا يراه فى بقائه فى يد كافور ، وقد كانت له يد قديمة عند أنجور حين عزّاه فى أبيه . أما وقد قمعت الفتنة، واستقام الأمر لكافور فليس أمامه إلا أن يكون مع الغالب وحيث استقر الأمر .

وحاصل ما تقدم أن أبا الطيب أراد فى مصر الولاية والملك ، وكان هذا أقوى حاجات نفسه فيها ، وأنه غيّر من طريقته فى بلوغ رجائه فاحتال له ما استطاع ، واجتهد فى التأتى ما أمكنه ، وسام نفسه على هذا سَوْما عنيفا ، فلم يبلغ به الاحتيال والتأتى إلى ما أراد ، كما لم يبلغ به الغلاب والتقحم .

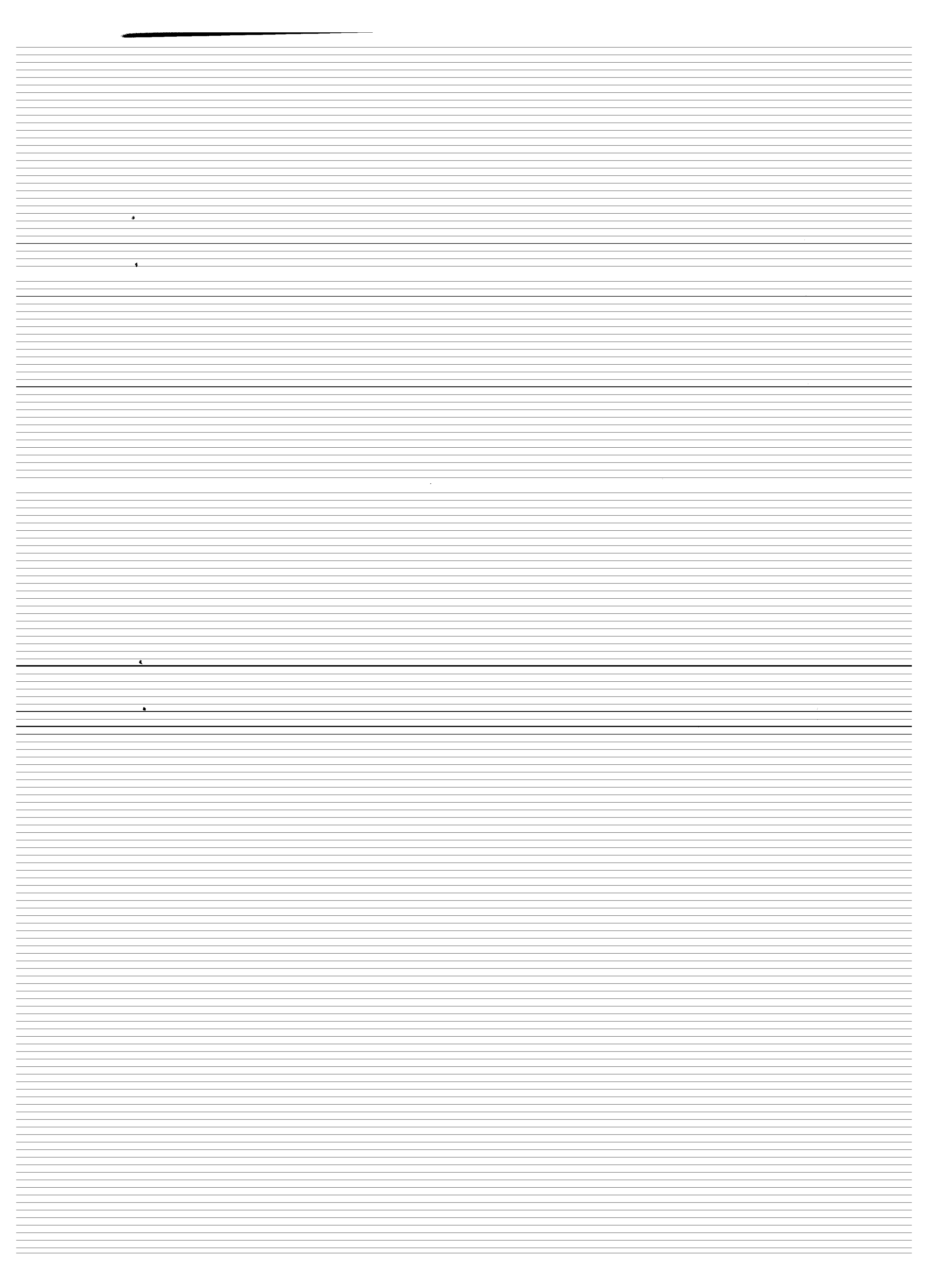
* * *

# الفصل الثاني

# الإخفاق

★ أبلغ ما يُطلب النجاح به الطبـ
ـع وعنـد التعمق الـزلل

ديوان المتنبي : ٣/٢٢٠



- ١ -

محنة أبى الطيب فى مصر موصولة بمحنته فى حلب ، واخفاقه عند سيف الدولة مقدمة لإخفاقه عند كافور ، ومؤثر فيه ، وهذا هو الوجه فى الابتداء فى هذا الموضع بما حملته نفسه من إخفاقهـا ، ومصابها فى حلب .

وفى شعر ابى الطيب ثلاث قصـائد ، هى ثلاث وثائق نفسـية لما أصاب نفسه فى حلب : الميمية التى انشدها سنة ٣٤١هـ لما تكدّر مـا بينه ، وبين سـيف الدولة ، والبائية التى قالها لكافور أول ما لقيه فى جمادى الثانية سـنة ٣٤٦هـ ، والنونية التى قالها سـنة ٣٤٨هـ حـين بلغه أن قوماً نعـوه فى مجلس سـيف الدولة ، وقد قالهما فى مصر .

ففى الميمية (١) قال إنه حران القلب ، سقيم الحـال والجسم :

واحَـرَّ قلباه ممن قلبه شَبِمِ
ومن بجسمى وحـالى عنده سَقم

ورد هذا إلى أن سـيف الدولة لم يراع قديم معرفته :

ما كان اخلقنا منكم بتكرِمـة
لـو انَّ امـركم من أمرنا أمم

ولم يعد يوفه حقه :

يا اعـدل النـاس إلاَّ فى معاملـتى
فيك الخصام وانت الخصـم والحـكم

واحضر معه من لا خير فيه ، وقدم عليه من لا يدانيه :

اعيذهـا نظـرات منـك صـادقة
ان تحسـب الشـحم فيمن شحمه ورَم

---

(١) الديوان : ٣/٣٦٢ - ٣٧٤ .

وطلب له المعائب والعورات :

كم تطلبــون لنــا عيبــا فيعجزكــم

ويكــره اللــه مــا تأتــون والكــرَم

وأعطى أذنا لحساده ، وشانئيه :

إن كان سـركم ما قـال حاســـدنا

فمــا لجــرح إذا أرضــاكم الـــمُ

وزهد فيه ، فلم يترك له خياراً سوى الرحيل :

إذا ترحلت عــن قــوم وقــد قــدَروا

ألا تفارقهـــم فالراحلــون هــمُ

وسواء أكان هذا حقيقة ما لقى من سيف الدولة ، أم كان وهمــا صوره للمتنبى حزنه ، وضيق نفسه فالنتيجة واحدة وهى أنه يكشــف عن ما يؤود نفس المتنبى يومئذ ، ويعكس ما تلاقى .

ومما يوقف عنده أن الشـعر الـذى قبل هذه الميميــة فى ترتيب الواحدى لا يرى فيه أثر واضح لهذه القطيعة التى اعلنت عن نفســها بين الرجلين فى هذه الميمية ، وإنما هو مدح على ظفر ، أو شكر على هدية ، وفى بعضه رضا ظاهر ، وقرب قريب ، ينطويان على اعجاب طلق،وثناء عريض(٢)، فهذه الميمية حد فاصل بين مرحلتين من شعر أبى الطيب فى حلب ، وتتبع شـعره بعـدها يدل على أنــه اجتهـد فى أن يصلح ما فسد بينه وبين أميره ، لكن نفس سيف الدولة لم تصف لأبى الطيب صفاءها القديم ، فبعدها فى ترتيب الواحدى بائية قصيرة يمدح فيها سيف الدولة ، ويعتذر إليه ، ويستعطفه ، ويبذل له الرضا ،

(٢) راجع ديوان المتنبى ١٦٩/٤ - ١٧١ ، ٥٦/١ ، ٥٤/١ .

ويبلغ فى آخرها المبلغ الذى لا شىء بعده فى الاعتذار والاستعطاف فيقول :

**وإن كان ذنبى كل ذنب فإنه**
**محا الذنب كل المحو من جاء تائبا (٣)**

وفى شعبان سنة ٣٤١ هـ يجتهد فى الاعتذار إليه ، ويقول :

**ياأيها المحسن المشكور من جهتى**
**والشكر من قبل الإحسان لا قبلى**
**ما كان نومى إلا فوق معرفتى**
**بأن رأيك لا يؤتى من الزلل**

ويأمل أن ينجلى عتب سيف الدولة عن محمود العاقبة ، وهذا يعنى أنه كان ما زال يومئذ عاتبا عليه فيقول :

**لعل عتبك محمود عواقبه**
**فربما صحت الأجسام بالعلل**

ويكذب نفسه فيما كان قاله من أن سيف الدولة ينصت فيه للحساد والواشين ، ويعطيهم أذنا ، وأنه يشوب العطاء بأذى ومن فيقول :

**وما ثناك كلام الناس عن كرم**
**ومن يسد طريق العارض الهطل**
**انت الجواد بلا منّ ولا كذب**
**ولا مطال ، ولا وعد ولا مذل (٤)**

وحين اشتكى سيف الدولة من دمل فى العام الذى تلا عام الجفوة زاد المتنبى فى تودده ، ورام اصلاح ما فسد بينه وبين أميره فقال :

---

(٣) الديوان ٧١/١ .
(٤) الديوان ٧٤/٣ - ٨٧ ، والمذل : الفترة والضجر . هامش ص ٨٧ .

بسـيف الدولـة الوضـاء تمسى

جفـونى تحـت شـمس ما تغيـب

فاغـزو مـن غـزا وبـه اقتـدارى

وارمى مـن رمى وبـه اصـيب

وللحساد عـذرٌ ان يشـحُوا

على نظـرى إليـه وان يذوبـوا

فـإنى قـد وصـلت إلى مـكان

إليـه تحسـُد الحـدَق القـلوب(٥)

فما نفعـه ذلك كله ، ولا عطف عليـه قلب سيف الدولة ، فكان اعتذاره بعدها كسيرا ، وتودده ضارعا يائسا ، وغناؤه النفس حزينـا يصور قلق نفسه ، وهمها الذى طرد عنه النوم والشعر وقد صـور ذلك فى رائيته التى أولها :

أرى ذلـك القـرب صـار ازوراراً

وصـار طـويل السـلام اختصـارا

وفيها يقول :

تركتيـنىَ اليـوم فى خجْلـة

أمـوت مـراراً وأحيـا مـرارا

اسـارقك اللحـظ مسـتحييا

وازجـر فى الخيـل مهـرى سـرارا

واعـلم إنـى إذا ما اعتـذرت

إليـك أراد اعـتذارى اعـتذرا

---

(٥) الديوان ١/٧٤ ، ٧٥ .

**ولكن حمّى الشعر إلا القليـ**

**ـل هم حمى النوم إلا غرارا (٦)**

وبعد سنة ٣٤٢ هـ سكت أبو الطيب عن معاتبة سيف الدولة ، والاعتذار إليه أو كاد ، وبقى يمدحه بشعر أكثره مدح لسان .

فدل هذا السرد على أن الجفوة وقعت بين المتنبى وسيف الدولة عام ٣٤١ هـ . واجتهد أبو الطيب فى أن يزيلها ، وتاتى لهذا بما استطاع من مدح واعتذار إلى نهاية عام ٣٤٢ هـ . ثم يئس من استمالة قلب سيف الدولة ، وأن يصفو صفاءه القديم ، فطوى النفس على ما بها حتى فارق حلب بغصة فى حلقه ، وحسرة فى نفسه لم تفارقاه بعدها : غصة لفراق الرجل ، وحسرة على ضياع الأمل .

وشعر المتنبى كما رايت يرد الجفوة إلى تحول قلب سيف الدولة عنه ، وزهده فيه ، وأخبار الرواة تردها إلى أبى الطيب نفسه ، لأنه كان يتعاظم فى مجلس سيف الدولة ، ذهابا بنفسه وبشعره ، والملوك لا تطيق ذلك ، ولأنه كان يبطىء فى مدحه ، ويتاخر عن حضور مجالسه (٧) . ولعل فى الامر أسبابا أخرى غير ما أفصحت عنه الأشعار ، وجاءت به الأخبار .

ومهما تكن أسباب الجفوة فإنها تركت فى نفس المتنبى أثرا بليغا ، وأورثته هما ثقيلا ، وحزنا طويلا ، سكن النفس واستوطنها ، وكان قبلها قد أقام عند أمير حلب أربع سنوات من الرجاء العريض ، نصرت عيناه فيها قلبه ، وقلبه لسانه .

ثم لقى المتنبى كافورا أول ما لقيه عام ٣٤٦ هـ ، بهذه النفس

(٦) الديوان ٢/٩٤ .
(٧) انظر المتنبى لشاكر ٣/٢٧٨ ، وديوان المتنبى ٢/٩٤ ، ٩٨ .

الحرى التى يعذبها إخفاقها ، فاذا هو يقول : إن الموت بات له شفاء والمنايا صارت أمانيا :

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا
وحسب المنايا أن يكن أمانيا

ويرد ذلك إلى أنه فقد الصديق الصدوق ، والعدو المداجى :

تمنيتها لما تمنيت أن ترى
صديقا فاعيا أو عدوا مداجيا

وأريد على الهوان وقبول المذلة :

إذا كنت ترضى أن تعيش بذلة
فلا تستعدن الحسام اليمانيا
ولا تستطيلن الرماح لغارة
ولا تستجيدن العتاق المذاكيا (٨)

وهذه القصيدة فى بعض جوانبها تاريخ لمحنة أبى الطيب فى حلب ، وللأثر الذى تركته فى نفسه ، وبعد نحو سنتين عاد إلى تلك المحنة ، بل عادت إليه حين بلغه أن قوما نعوه فى مجلس سيف الدولة ، فثارت نفسه ثورتها ، وقال فى ذلك نونيته التى مطلعها :

بم التعلل ؟ لا أهل ولا وطن
ولا نديم ولا كأس ولا سكن

وهى غناء نفس يدل على أن محنته فى حلب ، ومصابه فى سيف الدولة بقى حيا فى نفسه ۰ ولنا عود إلى هاتين القصيدتين ۰

## ـ ٢ ـ

انفرد الشيخ أبو فهر محمود شاكر بالقول بان المتنبى لم ينكب فى حلب فقط فى سيف الدولة الرجل الذى غيره من الملوك ، وكان حين

---

(٨) الديوان ٤/٢٨١ ، ٢٨٢ ۰

وجده كالذى وجد نفسه بعد فقد،ووطنه بعد طول غربة.وإنما ايضا فى المرأة التى أحبها ، وعلقها قلبه ، وهى خولة أخت سيف الدولة الكبرى، ورأى أن فقد المرأة كان أعظم اثرا فى نفس المتنبى ، لأن فراق الرجل لا يغير الطبيعة المتأصلة ، وإنما يغيرها فقد الحب ، وقد تغيرت طبيعة أبى الطيب بعد حلب تغيرا ظاهرا(٩) .

وقد بنى الشيخ رأيه على استنباط ، وفقه باطنى فى شعر المتنبى، ولم يعول فيه على نص صريح ، وأنى للنص الصريح أن يبلغ أمثال هذه العواطف القلبية الخاصة ، وهى شئ إن أدركته الوشاية ، لم تدركه الرواية ؟! .

وقد تأملت هذه المقالة فوجدت الرأى منقادا إلى اكثرها بظن راجح ، إن جاز أن يؤرخ للنفوس والقلوب بالظن الراجح وذلك انى وجدت فى غزل أبى الطيب فى حلب ، وفى مصر شعرا إلا يكن فى خولة ، ففى امرأة فى مثل حالها ، ومكانها .

واقدم ما وجدت من هذا قوله فى رثاء أم سيف الدولة :

وأبرزت الخدور مخبآت
يضعن النقس أمكنة الغوالى
أتتهن المصيبة غافلات
فدمع الحزن فى دمع الدلال(١٠)

وكانما برزت ( خولة ) يومئذ فيمن برزن ، ودمعت فيمن دمعن ورآها المتنبى على حالها تلك وكانت قد وقعت قبل من نفسه - والغوانى يقتلن أكثر ما يقتلن غافلات ، ويسبين اكثر ما يسبين باكيات.

---

(٩) انظر فصلا مختصرا كثير الاستنباطات فى المتنبى ٢٢٥/١ - ٢٥٠.
(١٠) الديوان ١٧/٣ . والنقس : المداد والغوالى : جمع غالية : نوع من الطيب .

فقوله : ( فى دمع الدلال ) مما يوقف عنده فى هذين البيتين ، وهو بالغزل أشبه منه بالرثاء فإذا لم يكن عمد إلى تدقيق المعنى ، والدلالة على مفاجأة المصاب . فهو دليل على أنه وصف من يحب ، وتغالب فى قلبه الحذر والحب فتنفس الحب فى لفظ الدلال . فإن كان ذلك التفسير صحيحا وكان هذا الشعر منصرفا إلى خولة فهو دليل على أنه عرفها بكرا ، لأنه قال هذه القصيدة فى عامة الأول عن سيف الدولة سنة ٣٣٧ هـ .

وفى رثاء ( أبى الهيجاء ) ابن سيف الدولة عاد أبو الطيب إلى ذلك المعنى بعينه ، فقال :

**تركَت خـدود الغانيـات وفوقها**
**دموع تذيب الحسـن فى الأعين النجل**
**تبَل الثرى سوداً من المسـك وحده**
**وقد قَطرت حمراً على الشعَر الجثْل(١١)**

وذكر الخدود ، والحسن ، والأعين النجل ، والمسك يجعل الكلام بالغزل أشبه . قال العكبرى : إن ذكره المسك دليل على انه ذكر جارية ناهدا ، غير ذات بعل ، لأن الجوارى لا يكتحلن إلا بالمسك(١٢) .

وبعد ثلاث قصائد من السابقة فى ترتيب الواحدى يقول :

**إنّ المعيد لنـا المنـام خيـالَه**
**كانت إعادته خيـال خيالـه**
**بتنـا يناولنـا المـدام بكفـه**
**من ليس يخطـر أن نـراه ببالـه(١٣)**

---

(١١) الديوان ٣/٤٣ ، ٤٤ ، والجثل : الكثير الملتف هامش ٤ ص ٤٤ .
(١٢) الديوان هامش البيت ٤ ، ٣/٤٤ .
(١٣) الديوان ٣/٥٤ .

وهو يصف هنا من لا يطمع فى رؤية شخصها فى اليقظة ، فيكتفى باستحضار خيال خيالها المرسل ، فيكون الذى يراه منه خيال الخيال ، ويقول فى آخر البيت الثانى : إنها امرأة لا يخطر هو ببالها . فإذا لم يكن هذا أيضا إيغالا فى الصنعة ، وتدقيقا فى المعنى . فهو لامرأة ممتنعة عزيزة ، كخولة أو من هى فى مثل حالها .

هذا ما يمكن صرفه إلى خولة ، أو من فى مثل حالها من الشعر الذى قاله أبو الطيب فى حلب قبل سنة ٣٤١هـ وهو عام الجفوة التى وقعت بينه وبين سيف الدولة .

وفى سنة ٣٤١هـ قال أبياتا يمكن أن تنصرف إلى جولة بوجه أقوى مما قيل قبلها ، قال :

وما صبابة مشتاق على أمل
من اللقاء كمشتاق بلا أمل

متى تزر قوم من تهوى زيارتها
لا يتحفوك بغير البيض والأسل

والهجر أقتل لى مما أراقبه
أنا الغريق فما خوفى من البلل

ما بال كل فؤاد فى عشيرتها
به الذى بى ، وما بى غير منتقل

مطاعة اللحظ فى الألحاظ مالكة
لمقلتيها عظيم الملك فى المقل(١٤)

وانظر إلى قوله : « مشتاق بلا أمل » وقوله : « يتحفوك بغير البيض والأسل » وقوله « والهجر أقتل لى مما أراقبه » وقوله « ما بال كل فؤاد فى عشيرتها .. البيت » وقوله « مطاعة اللحظ .. البيت »

(١٤) الديوان : ٣/٧٥ ، ٧٦ .

= فإنها معانٍ من الغزل لا تشبه المعتاد من مذاهب الشعراء فيه ولا تشبه مذهبه هو فيه قبلُ . هذا . ومعجمه اللفظى فى هذه الأبيات : « البيض » و « الأسل » و « أراقبه » و « مطاعة اللحظ » و « مالكة لمقلتيها » لا يخلو من دلالة على ما نحن فيه وكذا قوله « عظيم الملك فى المقل » .

فإذا علمت أن القصيدة التى منها هذه الأبيات أولى اعتذارياته بعد الجفوة ، وأنه يدفع بها عن نفسه ما اتُّهِم به ، وحوّل عنه قلب سيف الدولة = عرفت أن هذا كلام نفس كانت تتنازعها دواعى الهوى ودواعى الحذر ، ودفع الريب ، وأن دواعى الهوى غلبته أو كادت .

وكأنى به يود لو غلب الحذر الحب ، ولكن الحب غلب الحذر . وإذا كانت المقطعات الثلاث الأولى تشبيبا ووصفا ، فإن القطعة الأخيرة تعبير عن الحرمان وتعذر الوصل كان هذا ما قاله فى حلب .

وفى أول ما لقى به كافوراً من الشعر سنة ٣٤٦هـ يقول :

حببتك قلبى قبل حبك من نأى
وقد كان غدّاراً فكن لى وافيا

واعلم أن البين يشكيك بعده
فلست فؤادى إن رأيتك شاكيا

فإن دموع العين غدر بربها
إذا كنّ إثر الظاعنين جواريا(١٥)

وهذه الأبيات جاءت بعد غناء حزين ، طاغى الحزن ، فكان الحزن ذكره بأسبابه ودواعيه . والواحدى يجعل هذه الأبيات من التعريض ، ويخصصها بسيف الدولة ويجعله المحبوب النائى ، ولكن

(١٥) الديوان : ٢٨٣/٤ .

ابن جنى وهو أعلم بمعانى شعر المتنبى ونفسه - يطلقها ويقول : إنه يعاتب قلبه على الحنين إلى من فارق(١٦) . وهى بهذا التأول صالحة لأن تكون فى كل حبيب فارقه .

وهذه الأبيات إذا وضعت فى سياقها من تاريخ نفس المتنبى ثم صرفت إلى سيف الدولة وحده إلتامت من وجه ، وانثلمت من وجه آخر ، فالمتنبى كان مفرط العتب على سيف الدولة فى هذه القصيدة ، ذاما له ؛ لأنه كان قريب عهد بمحنته عنده ، وكان على رجاء من كافور لم يخالطه كبير يأس فقوله فى هذا : « واعلم أن البين يشكيك بعده » وقوله « حببتك قلبى قبل حبك من نأى » ينصرف إلى خولة أو من فى مثل حالها أكثر مما ينصرف إلى سيف الدولة . إلاّ أن يفسر الأمر بتدافع العواطف وتداخلها فى نفس المتنبى تجاه سيف الدولة . ، وليس بمستبعد هذا .

وقد رأيت أبا الطيب فى بعض ما قال من الشعر فى حلب يمزج المدح بالحب ، ويستخدم ألفاظ هذا فى ذاك . ولهذا تفسير نفسى هو أن المتنبى لما أحب خولة ، ومازج قلبه حبها قدم الحذر فتصبر وتماسك لمكانه ، ومكانها من سيف الدولة ، ثم ألح عليه ما فى قلبه فهداه الطبع الشاعر إلى ضرب من المدح الغزلى ، أو الغزل المدحى ، وجاء بكلام إذا انصرف إلى الممدوح انصرف بوجه ، وكان فنا من المدح بديعا ، وإذا صرف إلى المحبوب انصرف بوجه آخر وكان فنا من الغزل لطيفا ، فأرضى بذلك حبه وحذره ، ومحبوبه وممدوحه . ثم كان هذه الحيلة صارت بعدُ مذهبا فنيا ، بعدما كانت مذهبا نفسيا .

---

(١٦) الديوان : ٢٨٣/٤ هامش ٦ .

وصار قول المتنبي إن قوم من يهوى يقرون من رام نساءَهم البيض والأسل معنى مكرراً من معاني الغزل عنده ، ففي المصرية التي قالها سنة ٣٤٦هـ ، يقول من مطلعها :

من الجآذر في زيّ الأعاريب
حمرُ الحلى والمطايا والجلابيب

ثم يقول بعد بيتين :

سوائر ربما سارت هوادجها
منيعة بين مطعون ومضروب
وربما وخَدَتْ أيدي المطي بها
على نجيع من الفرسان مصبوب(١٧)

وقوله : « ربما سارت هوادجها » وما بعده التفات قلب ، وانتقال معنى ، وفي التفاتات أبي الطيب ، وانتقالاته أسرار نفسه وكنوزها كما يقول الشيخ ابو فهر محمود شاكر .

وذهب ابو الطيب هذا المذهب نفسه في قصيدة أخرى قالها في العام نفسه ، مطلعها :

أودُّ من الأيام ما لا تودّه
واشكو إليها بيننا وهي جنده

- وهذا المعنى هو خلاصة محنة المتنبي في حياته كلها - وفيها يقول :

رَعَى الله عيساً فارقتنا وفوقها
مها كلها يُولِي بجفنيه خده

ثم التفت وانتقل بعد بيتين فقال :

(١٧) الديوان : ١/١٦١ .

وحال كإحداهن رمت بلوغها
ومن دونها غول الطريق وبعده(١٨)

وهذا الالتفات كالذى قبله فى أنه يحمل قبسا من نفس المتنبى ، وسرّها ، وفى إمكان انصراف المعنى الملتفت إليه فيه إلى خولة .
وفى المصرية التى قالها سنة ٣٤٧هـ بيتان قويان فى الدلالة على ما نحن فيه وهما :

رحلت فكم باك باجفان شادن
علىّ وكم باك باجفان ضيغم

وما ربّة القرط المليح مكانه
باجزع من ربّ الحسام المصمّم(١٩)

ثم لا يرد فى شعر أبى الطيب بعدها ما يمكن صرفه إلى خولة ، وكانما شغله عن هذا إخفاقه فى مصر ، وخيبة رجائه فى كافور . إلى أن تاتى سنة ٣٥١هـ ، وترد على هدية من سيف الدولة وهو بالكوفة بعد أن ترك مصر ، فيعود إلى ما كان ذهل عنه من سر قلبه فيقول :

ما لنا كلنا جَو يا رسول
انا اهوى وقلبك المتبول

افسدت بيننا الأمانات عينا
ها وخانت قلوبهن العقول

تشتكى ما اشتكيت من طرب الشو
ق إليها والشوق حيث النحول ..

وإذا خامر الهوى قلب صبّ
فعليه لكل عين دليل

(١٨) الديوان : ٢/٢٠ - ٢٢ .
(١٩) نفسه : ٤/١٣٤ .

زودينـــا من حسن وجـهك مـادا

م فحسن الوجــــوه حـال يحـول

وصـــلينا نصـــلك في هـــذه الدنـــ

ـــيا فـــإن المقـــام فيهـــا قليـــل(٢٠)

والرسالة والهدية جاءتاه من سيف الدولة ، ولكنه يتحدث وكأنهما جاءتاه من خولة . وفى هذا الشعر نفس جديد فى غزله ، فهو هنـا أشـبه بمن يبكى الحب وينعـاه ، لا من ينعته ويصفه . وكأنما كانا أسرا الهوى ، وتعاهدا على الكتمان ، وألا تخون العيون العقـول ، فوفى حينا ثم خانته عيناه ، وأفسدتا ما بينه وبينها من أمانات ، فعرف أمره وأمرها .

ولم يرد مثل هذا المعنى فى شـعر المتنبى قبل ، ولكنه قد مضى الآن على فراق خولة نحو خمس سنين ، فلا عليه من أن يعترف علـى نفسه ، وينتصف منها . وهذا التأول - إن صح - قد يخـالف ما ذهب إليه شـيخنا أبو فهـر من أن سـيف الدولة كان عالمـا بما بين المتنبى وخولة ، وراضـيا بـه ، وأنه وعـــده بأن يزوجهـا له ثـم قعـد عن وعـده(٢١) .

وبقى أبو الطيب إلى آخـر أيامه يدندن بشعر مما يمكن صرفه إلى خولة ، ففى القصيدة التى مدح بهـا دلير الديلمى سنة ٣٥٣هـ يقـول مخاطبا اللائمة :

.. تقولين ما فى النـاس مثلك عاشـق

جدى مثل من أحببته تجدى مثلى(٢٢)

---

(٢٠) الديوان : ٣/١٤٨ ، ١٤٩ . وانظر : ١/٨٦ - ٩٦ .
(٢١) انظر المتنبى : ١/٢٣٥ ، ٢٥٢ .
(٢٢) الديوان : ٣/٢٨٩ .

وفى القصيدة التى مدح بها ابن العميد يقول فى آخر أبيات الغزل فيها متلفتا منتقلا .

فبلحظها نكرت قناتى راحتى
ضعفا وانكر خاتماى الخنصرا

أعطى الزمان فما قبلت عطاءه
واراد لى فاردت أن أتخيرا (٢٣)

وآخر إشارة وجدتها فى هذا الباب قوله فى القصيدة التى مدح بها عضد الدولة أبا شجاع فنّاخسرو سنة ٣٥٤ هـ ، وهو العام الذى قتل فيه = ملتفتا بعد أبيات غزلية :

فيهن من تقطر السيوف دماً
إذا لسان المحب سمّاها (٢٤)

وقد قلت : إن هذا المعنى من المعانى الغزلية الخاصة التى تتكرر فى شعره فى حلب وما بعدها . وقد فتشت شعره قبل حلب لأظفر بهذا المعنى الذى أصبح من أصول معانيه فى الغزل بعد ذلك ، فلم أجده يتردد كثيرا فى غزلياته ، ووجدته فى موضعين : الأول فى قصيدة فى مدح شجاع بن محمد الطائى المنبجى ، وفيها يقول :

عدوية بدوية من دونها
سلب النفوس ونار حرب توقد

---

(٢٣) الديوان : ٢/١٦٣ .
(٢٤) نفسه : ٤/٢٧٢ .

**وهواجل وصـــواهل ومناصـــــل**

**وذوابل وتوعـــد وتهــــــدد(٢٥)**

والثانى فى قصيدة هجا بها ابن كيغلغ :

**يا أخـت معتنـق الفـــوارس فى الوغى**

**لأخـــوك ثم أرق منـــك وأرحـــم(٢٦)**

وربما كان الأصل فى هذا المعنى قول امرىء القيس :

**تجـــاوزت أحراســـا إليهـــا ومعشرا**

**علىّ حراصـــا لو يشرون مقتــــلى**

وها هنا قولان : أن يقال إن هذا المعنى عند أبى الطيب من معانى الشعر لا من معانى النفس ، وأنه يلائم نفسه المستعلية ، وذهابه بنفسه . أو يقـــال : إنـــه من معانى النفس والقلب لارتباطه بمحنته فى حلب ، ومصابه فى سيف الــدولة . وأنا إلى القول الثـــانى أميل . ومن حسن نقد الشعر التمييز بين معانى الشعر ، ومعانى النفس وإن تشابها .

بقى أن أقول إن الشعر الذى قلت : إنه ينصرف إلى خولة بظن راجح تركز أكثر ما تركز فى ثلاث محطات نفسية من تاريخ أبى الطيب : فى سنة ٣٤١هـ وهو عام الجفوة التى وقعت بينـه وبين سيف الدولة وفى سـنة ٣٤٦هـ وهو العـــام الذى نزل فيـــه مصر ، وتحـــول إليها بنفسه وآماله ، وفى سنة ٣٥١هـ حين خرج من مصر باخفاق جـديد ، ولشعره فى كل محطة من هذه المحطات الثلاث مذاق نفسى خاص .

وكل ما سبق يقوى القول بأن خولة كانت حاجة من حاجات نفس أبى الطيب فى حلب ، وسببا من أسباب اخفاقه فيها ، ثم صارت باعثا من بواعث حزنه وشكواه فى مصر وبعدها .

---

(٢٥) الديوان : ٣٣٠/١ .
(٢٦) نفسـه : ١٢٢/٤ .

- ٣ -

بقى مصاب أبى الطيب فى حلب يعمل عمله فى نفسه حين نـزل مصر ، ومطلع القصيدة التى لقى بهـا كافوراً أول ما لقيه تؤرخ لحالته النفسية تلك أصدق تاريخ . قال :

كفى بكَ داءً أن ترى الموت شـافيا
وحسـب المنـايا ان يـكن امانيـا
تمنيتهـا لمـا تمنيت ان تـرى
صـديقا فاعيـا او عـدوا مداجيـا
إذا كنت ترضى أن تعيش بذلـة
فلا تستعدّن الحسـام اليمانيـا
ولا تستطيلن الرمـاح لغـارة
ولا تستجيدن العتـاق المذاكيـا
فما ينفع الأسدَ الحيـاء من الطوى
ولا تتقى حتى تكون ضـواريا(٢٧)

وفى نظم هـذه الأبيـات ، ومعانيها ما يشى باغوار نفس المتنبى يومئذ ، واسرارها . فقد اعتمد « أسلوب التجـريد » وهو ان يخلص الشاعر الخطاب لغيره ، وهو يريد نفسـه(٢٨) ، فقـال : « بك » و « تمنَّيتَهـا » و « تـرى » و « تـرضى » و « تَسْـتعدّن » و « تستجيدن » .. فجعل الخطاب فى كل هذا لغيره ، وجـرد من نفسه نفساً يخاطبها ، والكلام فى الحقيقة لنفسه وعن نفسه .

---

(٢٧) الديوان : ٤/٢٨١ ، ٢٨٢ .
(٢٨) انظر : المثل السائر : ٢/١٥٩ .

وقد عمد فى الأبيات التى تلى هذه إلى ضرب آخر من التجـريد فأفرد قلبه ثم خاطبه خطاب من له رأى مخالف ، ومذهب مستقل . وفى الأبيات أيضـا التفات إلى سيف الدولة . وكان أكثر حديث نفس المتنبى قبل الاخفاق ، ومما ترك فى نفسه من الاثر = حديثا بضمير التـكلم ( أنا ) ، وهو الآن يجرد من نفسه مخاطبا يخاطبه ، وكأنما صـارت النفس نفسين ، وصار الرجل رجلين .

وهذا التجريد من الوجهة البلاغية اتسـاع فى الكلام ، واقتـدار على القول ، ولكنه من الوجهة النفسية دليـل انقسـام النفس . وانقسام النفس قد يطفو على سطح البنية الشعرية فى صورة من صور الامتعاض من الذات ربما بلغ حد التقزز(٢٩) . ولهذا لم يعد أبو الطيب إلى التكلم ، ولم يدع التجريد إلا عندما انتهى به الحديث إلى ما يعده هو صفة من صفاته النفسية التى لم تهزم ، وهى الوفاء فقال :

خلقتُ الوفاً لو رحلتُ إلى الصِّبا

لفارقت شيبْى موجع القـلبِ باكيا

وهو بيت واحد انتزع نفسه فيـه انتزاعا ليدخل فى المدح .

والمعانى التى اشتمل عليها ذلك المطلع تبدو جـسـديدة على نفس المتنبى ، فالاستشفاء بالموت ، وتمنى المنـايا ، والرضا بالعدو المداجى عند فقد الصديق الصدوق ليست من مألوف ( معجم معانى شعر المتنبى ) ، والعهد به أنه متماسك للحوادث ، متجلد لزلازل الأيام ، تياه بنفسه يقول فيها ما يشتهى وما يحب ، وهو الآن كما ترى .

---

(٢٩) انظر : مقالا للدكتور عبد السلام المسدى فى كتاب : المتنبى مالىء الدنيا وشاغل الناس : ٢٤٦ .

وقد أشار ابن جنى إلى لطيفة فى قول المتنبى :

**إذا كنت ترضى أن تعيش بذلــــة**

**فلا تستعدن الحســــــام اليمـانيا**

فقال : إن الشعراء يستخدمون الاستفهام فى هذا المقام ، ولكن المتنبى استخدم فيــه الشرط والنهى(٣٠) . وأنا أظن أن الاستفهام يعبر هنا عن درجة من درجات تماسك النفس ، أقوى مما يعبر عنه الشــرط والنهى ، لأن الاستفهام فى هذا المقــام أحمل للمعنى ، وأنفذ فيه .

ومعجم ألفاظ تلك الأبيات نافذ الدلالة إلى معانيها ، وانظر إلى ألفاظ : « الموت » و « المنــايا » و « عدواً مداجيــا » و « الطــوى » و « شاكيا » و « دموع » و « الأذى » .

وتلك المعانى والألفاظ ليست مما يستفتح به المدح ، ويستقبل به ممدوح أول ما يستقبل ، ولكن أبا الطيب وفى فى هذه الأبيات لنفسه لا لممدوحه ، واستجاب فيها لدواعى غنائه النفسى قبل دواعى رجائه ، والألفــاظ فى مثل هذا أوعيته المعــانى ، والألفــاظ والمعــانى مرأيا النفس ..

تلك هى القصيدة التى وثق فيها المتنبى حزنه الذى حمله معــه من حلب ، تنفست فيها نفسه . وقد حــاول أن يكظم هــذا الوجــدان حتى لا يفسد عليه رجاءه فى مصر ، ولهذا لم يبدأ مصريته الثــانية التى قالها فى رجب سنة ٣٤٦هـ بغناء نفسى كسابقتها ، بل بدأها بمطلع من مطالع الصنعة ، وشعر الذكاء فقال :

**إنمــا التهنئـــــات للأكفـــــاء**

**ولمن يدّنى من البعـــــــــداء**

---

(٣٠) الديوان : ٢٨٢/٤ هامش البيت (٣) .

وأنا منك ، لا يهنئ عضو
بالمسرات سائر الأعضاء(٣١)

وفرغ من القصيدة دون أن يضمنها شيئاً من غنائه النفسي . ولكن لم تمض أربعة أشهر أو نحوها إلا وبدت لأبي الطيب مقدمات إخفاقه في مصر ، ودواعي حزنه فيها ، فوقع الحزن على الحزن والإخفاق على الإخفاق ، أو قل : اجتمع في الحزن الواحد حزنان ، وفي الإخفاق الواحد إخفاقان ..

هذا . وأبو الطيب يومئذ في بدايات طلبه الولاية من كافور ، يتشبث في رجائه بالسبب الواهي ، ويفزع إلى الأمل الكاذب . ففي البائية التي قالها في شوال أو انسلاخ رمضان سنة ٣٤٦هـ يبدأ بأبيات في التعلق بالحسن الأعرابي ، وينقله الحسن الأعرابي العام إلى حسن خولة - على الأرجح - فيقول :

مَن الجآذر في زيّ الأعاريب
حمرَ الحلى والمطايا والجلابيب
إن كنت تسأل شكا في معارفها
فمن بلاك بتسهيد وتعذيب ..
سوائر ربما سارت هوادجها
منيعة بين مطعون ومضروب..(٣٢)

وهذا التعلق بالحسن الأعرابي ، وهو في حاضرة الفسطاط له وجه نفسي ، فهو يتلفت إلى ما ترك ، ويحن إلى ما خلف وراء ظهره ، ومن مذاهب المتنبي الشعرية والنفسية أنه لا يحن إلى ما مضى ، ولا يذكر الوطن إلاّ في حالات ضيق النفس ، والضجر من مما هو فيه .

---

(٣٨) الديوان : ١/٣٢ .
(٣٢) الديوان : ١/١٥٩ - ١٦١ .

ومما يدل على وجود هـذه « البصمة » النفسية فى هذا المطـلع الغزلى الرمزى أنه يخرج منـه إلى غنـائه النفسى فيقول :

**ليت الحوادث باعتنى الذى اخـذت**

**منى بحـلمى الذى أعطت وتجريبى**

**فما الحداثة من حـلم بمانعـــــــة**

**قد يوجد الحـلم فى الشـبان والشيب (٣٣)**

يريد أن يسترد شبابه الذى ذهب ، ولو بذهاب ما اكتسب من العقل والحلم ، وهذا تعبير عن الحنين إلى المـاضى ، والرغبة فى الفرار من الواقع . وهذا الحنين بصورتيه : الحنين إلى الطبيعة الأعرابية ، والحنين إلى الشـباب يدلان على ما يملأ نفس الشاعر من الملل والسأم . ووازن بين ما يقوله هنا ، وبين قوله فى القصيدة السابقة :

**خلقت الـوفا لو رددت إلى الصِّبا**

**لفارقت شـيبى موجـع القـلب باكيا**

وبعد نحو شهرين يقوى إحساس المتنبى بانه اخطـا الراى فى قصده كافوراً ، وركب خطة خسف حين اختار مصر ، فيقول فى ذى الحجة سنة ٣٤٦هـ :

**أود من الأيـــــام مـــالا تــــوده**

**واشـــــكو إليهـا بيننا وهى جنــده**

**يباعدن حبًا يجتمعن ووصـــــــله**

**فـكيف بحب يجتمعن وصـــــده**

**أبى خلقُ الدنيـــا حبيبــا تديمــه**

فما طلبى منـــــا حبيبـــــا تردُّه

(٣٣) الديوان : ١/١٧٠ .

واســـرع مفعــول فعـلت تغيـــرا
تكلف شيء فى طباعك ضـده ..(٣٤)

وهذا نقد حزين للنفس ، وإقرار بنوازعها الصعبة . لقد تكلفت شيئا فى طباعها ضـده ، وتعمقت وفى التعمق الزلل . وهذا الذى تكلفته نفسه ، وتعمقت فيه هو رجـاء كافور ، وتوهمها أنهـا تبـلغ عنده ما لم تبلغه عند غيره من أحرار الملوك .

ويربط أبو الطيب منازعه الصعبة فى الحياة بطبيعته النفســية فيقول : إنه ليس ممن يرضى بميسور عيشه ، ولا هو من أهل القنـاعة والدعة ، وان له نفســا تجشمه المراكب الصعبة ، وقلبـا يرمى به المرامى البعيدة :

وفى الناس من يرضى بميسور عيشه
ومركوبه رجــلاه والثــوب جـلده
ولكن قلبـــا بـين جنبى مـا لـه
مدى ينتهى بى فى مـراد أحـده
يرى جســـمه يكسى شـفوفا تربه
فيختار أن يكسى دروعـــا تهـده
تكلفنى التهجـــير فى كل مهـمـة
عليقى مراعيــه وزادى ربـده(٣٥)

وهذا وصف للنفس والحياة ، وتأمل فى روافد الحـزن ودواعى الإخفاق .

وفى مطالع سنة ٣٤٧هـ وهو العام الثانى للمتنبى فى مصر يقوى

---
(٣٤) الديوان : ١٩/٢ .
(٣٥) الديوان : ٢٣/٢ .

فى نفسه ثانى الحزنين : حزنه الذى يعود إلى محنته فى مصر ، وخيبة رجائه فيما أمل فيها . وقد وثق هذا فى مطلع الميمية التى قالها فى ربيع الثانى من هذا العام ، وفيه يقول :

فـــراق ومنْ فارقتُ غير مـــــذمم
وأمٌ ومَنْ يممت خـــــيرُ ميمـــم
وما منــزل اللــذات عنــدى بمنــزل
إذا لــم أبَجَّل عنـــــده وأكرّم
سـجيةُ نفسى مـــا تـــزال مليحةً
من الضيم مرميًا بهـــا كل مَخْرَم .. (٣٦)

وهذا التقوى الظاهر فى الأبيات . وما فيها من تلفت إلى حلب لا يخفى ما تطويه نفسه من الشعور بالإخفاق الحاضر ، وسوء المصير الذى صار إليه . لقد ذهبت عن نفس أبى الطيب سكرتها ، ورفعت عن عينيه غشاوتها ، فعرف أنه يرمى الآن فى مصر بشر مما كرهه فى حلب ، وأنه مقبل على فراق – وكثيرا ما تكون الكلمة الأولى فى قصائد المتنبى مفتاح النص والنفس معاً . وهذا محتاج إلى بحث مفرد – ولهذا قال بعد أبيـــات :

وأهوى من الفتيـــان كل ســـميدع
نجيب كصـدر السـمهرى المقـــوم
خطت تحته العيسُ الفلاةَ وخالطت
به الخيل كبات الخميس العرمرمَ

(٣٦) الديوان : ١٣٤/٤ . ومليحة : مشفقة ، والمخرم : الطريق فى الجبل .

ولاعِفّة فى سـيفه وسـنانه
ولكنها فى الكف والفرج والفم(٣٧)

وهذا انكار للمصير ، وإرهاص بالانتقال . وكثيرا ما يجمجم أبو الطيب بمثل هذا فى اختياراته ، وانتقالاته عن منازل السوء .

وقد يبدو غريبا ان يختم المتنبى القصيدة بضراعة لا تلتئم مع ما سبق من غنائه النفسى فيقول :

ولو كنت ادرى كم حياتى قسمتها
وصيَّرت ثلثيها انتظارك فاعلم
ولكن ما يمضى من العمر فائت
فجدلى بحظ البادر المتغنم
رضيت بما ترضى به لى محبة
وقدت إليك النفس قَوْد المسلّمِ(٣٨)

ولسنا فى مقام من يحاكم أبا الطيب أخلاقيا فيحق لنا أن نحكم له أو عليه ، ولكنا فى مقام التاريخ الوصفى لنفسه كيف كانت . وشعر المتنبى يدل على أنه لم يخلع عن نفسه ثوب الأمل الكاذب ، والرجاء العقيم إلا فى نحو منتصف سنة ٣٤٨هـ ، وهو عامه الثالث فى مصر . أما قبل هذا التاريخ فما من قصيدة عبرّ فيها عن إخفاقه ، وأبدى أجنة حزنه إلاّ وفيها بيت أو أكثر يتعلق فيه بالسبب الواهى ، والأمل الكاذب فيطلب الملك والولاية .. وقد تتبعت هذا فى الفصل السابق .

ولهذا كان من السمات الظاهرة فى قصائد أبى الطيب المصرية فى هذه المرحلة أنها قسمان متباينان أو كالمتباينين : مطلع ، ومتن فالمطلع

(٣٧) الديوان : ١٣٦/٤ ، ١٣٧ .
(٣٨) الديوان : ١٣٢/٤ .

غنــاء نفسى يدل على نفس كارهة لمــا هى فيـــــه ، ضـــائقة بما انتهت إليــه ، ثم ينتزع الشـاعر نفســه ليدخـل فى متن النص وهو المدح ، والأغلب عليــه أن ينـازع الشاعر فيه نفسه ، ويحمل على طبعه ولهذا يعود فيه أحيـانا إلى غنـاء وجدانى كالذى اشتمل عليه المطلع .. فاذا طمع الشاعر ، وربمـا فربما خـدع نفسـه حتى جـاء بالمــدح الخالص .

وفى شوال سنة ٣٤٧هـ انشد المتنبى بائيته التى مطلعها :

اغالبُ فيك الشـوق والشـوق اغلب
واعجب من ذا الهجر والوصل اعجب (٣٩)

وهو « وثيقة » نفسية دالة ، تقع موقعـاً فصلا من تاريخ نفسـه فى مصر . وإذا صحّ ما قلت من أن اللفظ الأول فى قصـائد المتنبى كثيرا ما يكون مفتـاح النص والنفس معـا فإن المتنبى كان يومئذ فى حـال مغـالبة ومجادبة نفسية .

وعبارة « أغالب » فيك الشوق » مما يتسع فيه التأول ، فيجـوز أن يكون المعنى أنه يغالب شوقه إلى البقاء عنده .. هذا إذا كان المخاطب بـ « فيك » هو كافور ، وقد يكون غير كافور كسيف الدولة أو خـولة مثلا . وقد يرجح هذا أن بين المطلع وبين المدح ستة عشر بيتا ، وأن المتنبى يجعل المطلع - فى الغالب - لنفسه وهمومها .

ومهما يكن المعنى الذى يتأول عليــه الكلام ، فهو حـــديث نفس مكروبة ، وصـدر ثقيل ما يحمله ، وقلب تتغالب فيه المعانى ، وتتنازع

---

(٣٩) الديوان : ١٧٦/١

فيه النفس واللسان ، والوجدان والبيان . فالنفس والوجدان تثقلها الهموم ، واللسان والبيان يقيدهما الرجاء .

وفى البيت التالى تغلب معانى النفس فيقول :

**أما تغلط الأيام فىّ بان ارى**
**بغيضا تنائى او حبيبا تقرّبُ ؟**

وهذا البيت إذا وضع بازاء بيت المطلع الذى قبله كان انتقالا فى المعنى وفى الوجدان ، وهو من فرائد الغناء الذى فاضت فيه نفس المتنبى ملتفتة عن سياق المدح وعن كافور إلى المتنبى نفسه ، ومحنته ، وإذا علمت أنه قال هذه القصيدة بعد أن أهدى إليه كافور ستمائة دينار ذهبا علمت أن الذى كان فى نفسه يومئذ لم يكن ليدفعه شىء ، أو يقمعه شىء .

ومما يدل على وقوع هذه القصيدة موقعا فصلا من تاريخ محنة أبى الطيب فى مصر أنه لم يكد يبدؤ المدح حتى قطعه بأبيات من الغناء النفسى الحزين فقال :

**يضاحك فى ذا العيد كل حبيبه**
**حذائى وابكى من أحب واندبُ**
**احن إلى أهلى واُهوى لقاءهم**
**واين من المشتاق عنقاء مغرب**

ثم يعود بعد هذا إلى مدح فاتر مغسول إذا قيس بالمدح قبله ، ومع هذا فإن المتنبى يعود إلى طلب الولاية فى هذه القصيدة فيقول :

**ابا المسك هل فى الكاس فضل أنا له**
**فإنى اغنى منذ حين وتشرب**
**وهبت على مقدار كفّى زماننا**
**ونفسى على مقدار كفيك تطلب**

**إذا لـم تنط بى ضـــيعة أو ولايــة**

**فجودك يكسونى وشـغلك يسلب(٤٠)**

وهذه أبيات دالة على تضعضع نفس المتنبى ، وعلى أن أمله فى الولاية قد استرقّه ، وساقه سَوقَ الحطيئة . وما أعجب أن يجعل الكأس صـورة للملك ، وأن يكون كافور الشاربَ الريان ، ويكون المتنبى ذلك التيّاه الثائر ، والأبىّ النافر بمنزلة الظمآن الذى ينتظر السؤر ، ويشتهى فضـالة الكأس !!

ولا ريب فى أن أبا الطيب كان يغالب فى هذا نفسه ويحـمل على طبعه ، ويعطى من لسانه لا من قلبه ، وقد حكى ابن جنى عن المتنبى رواية نفسه ـ لا لسانه ـ للبيت الثانى من الأبيـات السابقة فقال : كنت إذا خلوت أنشـدت :

**وهبت على مقـــدار كفيك عســجداً**

**ونفسى على مقدار كفىَّ تطلب(٤١)**

ولا ريب أيضا فى أن الصورة مبنّاها على التهكم والتندر ، ولكن هذا لا يخفى ما فيها من الدلالة على اليأس والأسى . وأبو الطيب لم يقـل هذا القـول يوم ضغطة السجن ، وعضة القيـد ، بل جعل البرّ يومئذ بمنزلة الجيفة ، وجعل نفسه بمكان الأسد الذى لا يرضى لنفسه طعـام الجيف إلا مكرها فقال لسجانه :

**غير اختيار قبلت برك بى     والجوع يرضى الأسود بالجيف**

وهو الآن يقول : « هل فى الكاس فضل أنا له » وهذا دليل على أنه كان من يأسه وإخفاقه فى مصر فى سجن أقسى من السجن ، وقيد آلم من القيـد .

---

(٤٠) الديوان : ١/١٨٢ .
(٤١) انظر : معجز أحمد : ٤/١٠٨ .

ومع نهاية سنة ٣٤٨هـ تداعت نفس المتنبى وتهدمت فتداعى لها الجسم وتهدّم(٤٢) ، فاصابته الحمى فقال فيها قصيدته السّيارة فى ذى الحجة من هـذا العام ، وهى من أقوى الوثائق النفسية فى مصريات المتنبى •

والقصيدة(٤٣) قسمة بين التعبير عن « حمّى النفس » ، والتعبير « حمّى الجسم » • انظر إلى قوله :

أقمت بأرض مصر فلا ورائى تخبُّ بى المطىّ ولا أمامى
وملنى الفـراش وكـان جنبى يمل لقاءه فى كل عـام
قليـل عائـدى سقِم فـؤادى كثير حاسـدى صـعب مرامى

= ثم إلى قوله بعده :

وزائرتى كان بهـا حيـاءً فليس تزور إلاّ فى الظلام
بذلت لها المطـارف والحشـايا فعافتها وباتت فى عظـامى
يضيق الجـلد عن نفسى وعنهـا فتوسعه بانـواع السقام •••

فالأبيات الأولى أصدق إحساساً ، وأصحّ بيـانا من الثانية ؛ لأنه عبرّ فى الأولى عن حمّى نفسه ، ومحنتها ، وإن كان جعـل الحمى امرأة زائرة فى الأبيات الثانية لا يخلو من دلالات حزينة • وعندما عاد أبو الطيب إلى بيان مرض نفسه عاد إليه عمق الاحساس ، وصحة البيان فقال :

أبنت الدهر عنـدى كل بنت فكيف وصلت أنت من الزحام
جرحت مجرحا لم يبق فيـه مكان للسيوف ولا السهام ••

---

(٤٢) ممن اشـار إلى هـذا المعـنى الدكتور مبحى الكعبى فى : المتنبى مالىء الدنيا ••• : ١٢٧ ، وعصام كمال السيوفى : الانفعالية والابلاغية فى البيان العربى : ٢٦ • وانظر : الخيال الشـعرى عند أبى الطيب المتنبى للدكتور طه أبو كريشة : ١٠٦ •
(٤٣) الديوان : ٤/١٤٥ - ١٤٩ •

وقد ذكر القاضى الجرجانى أن المتنبى أعطى فى هذه القصيدة نفسه ، واتكأ فيها على قلبه ولسانه ، وتنكب معانى عبد الصمد بن المعذل الذى سبقه إلى وصف الحمى ، ولم يلم بشىء منها(٤٤) . وهذا من الأدلة على أن هذه القصيدة بضعة من نفس المتنبى قبل أن تكون قطعة من شعره وفنه .

وكان عام ٣٥٠هـ عام حزن المتنبى فى مصر ، كما كان عام ٣٤١هـ عام حزنه فى حلب . وفى ذلك العام لاح لأبى الطيب إخفاقه ، ومات رجاؤه ، فكان من أقسى محطات حزنه .

ففى شوال من هذا العام قال قصيدته العينية فى رثاء فاتك أبى شجاع ، ورجح الدكتور النعمان القاضى أن يكون أبو الطيب قالها سنة ٣٥١هـ بعد مهربه من مصر . ولكنى أرجح ما قاله الواحدى من أن المتنبى أنشأها عقب وفاة فاتك ، ثم كتمها ، وقد بقى فى مصر بعد موت فاتك نحوا من شهرين .

ويرجح تاريخ الواحدى أنه تحنى فيها تيار الحزن ، ونزعة اليأس اللذان غلبا على نفس المتنبى فى أيامه الأخيرة فى مصر . ومطلع القصيدة :

الحزن يقلق والتجمل يردع
والدمع بينهما عصىّ طيّع
يتنازعان دموع عين مسهّد
هذا يجىء بها وهذا يرجع(٤٥)

ومعانى هذين البيتين ، ومعجمهما اللفظى دالان أبلغ دلالة على ما يؤود نفس الشاعر ، ويثقلها .

---

(٤٤) انظر : الوساطة ١٠٦ .
(٤٥) الديوان : ٢/٢٦٨ .

وقد تأملت الأبيات التى رثى فيها المتنبى فاتكا ، وما تضمنته من الحزن الصادق ، والاحساس الحاد بالفقد فقوى فى نفسى أن أبا الطيب كان وهو يرثى صديقه الذى رحل كانه يرثى نفسه التى فقدها ، وأمله الذى حُرِمه . وكان المتنبى وفاتك يجمعهما يومئذ أمر واحد هو بغض كافور ، وتمنى الوثوب إلى مكانه .

وكانت خاتمة المطاف داليته التى قالها قبل رحيله عن مصر بيوم واحد ، واستقبل فيها العيد الذى تسر فيه النفوس بنفس قانطة ، كارهة لكل شيء حولها ، فقال :

عيد بأية حال عدت يا عيد

بما مضى أم بأمر فيك تجديد

أما الأحبة فالبيداء دونهم

فليت دونك بيدا دونها بيد(٤٦)

وبما ظنك بما انطوت عليه نفس تضيق بالعيد ، وتكره لقاءه ؟

★ ★ ★

هذا هو إخفاق أبى الطيب فى مصر ، وهذا هو حزنه كما دل عليه شعره الذى تنفست فيه نفسه . وإذا كان مرجع حزنه فى مصر إلى خيبة أمله فيما أمّل من الولاية ، فإن ما فى شعره من الحزن والشكوى هو فى حقيقة الأمر محصلة إخفاقه فيما مرّ من حياته كلها

وقد بدا لى من تتبع شعر المتنبى أن هذا الرجل الذى بنيت نفسه على التجلد والتماسك لا يفْــرِغ إناء حزنه دفعة واحدة ، بل يخرج منه فى وقت شدائده أشياء ، وتبقى منه بقية تتلبس بمقامات أخرى . فقد رأيته مثلا حين ماتت جدته . أمّه بعد أمّه ، ومرضعة قلبه وعقله

---

(٤٦) الديوان : ٢/٣٩ .

يذهب مذهبا غريبا فى التجلد والتماسك ، فيرضى الفخر أكثر مما يرضى الرثاء ، ويعطى لنفسه من الحظ أكثر مما أعطى جدته ، حتى ليغلب فخره حزنه .... ثم رأيته بعد سنوات يرثى أم سيف الدولة رثاء حاراً ، ويبكيها بدموع من القلب قبل العين فيقول :

نصيبك فى حياتك من حبيب
نصيبك فى منامك من خيال
رمانى الدهر بالأرزاء حتى
فؤادى فى غشاء من نبال
فصرت إذا أصابتنى سهام
تكسرت النصال على النصال ..(٤٧)

فقوى عندى أن حزنه فى هذه الأبيات بقية من حزنه على جدته تنفست فى هذا الموضع . وقد رأينا فيما سبق أنه عبر عما بقى فى نفسه من الحزن على مصابه فى حلب فى أول قصيدة لقى بها كافوراً ، وفى قصائد بعدها .

- ٤ -

بقى أن ننظر فى أسباب إخفاق أبى الطيب فى مصر . أما هو فيرد ذلك إلى الزمان الذى عانده ، والحياة التى مطلته ، وإلى الحساد والواشين الذين زعم أنهم سبقوه إلى كل طريق سلكها وإلى كل غاية تغياها ، وأرصدوا له فى مجلس كل أمير رحل إليه ، وكان أبو الطيب عظيم الاحساس بما فى الزمان من فساد ، وبجناية الحسد والوشاية على ذوى المطامح البعيدة ، والهمم العالية .

---

(٤٧) الديوان : ٣/٩ .

ولكنى أرى أن أقوى أسباب إخفاق أبى الطيب كانت من نفسه ، وأن أعدى أعدائه دون بلوغ ما أمل كان ( الذى بين أضلعه ) ، و ( الذى بين لحييه ) . فقد كان أبو الطيب صاحب ضجرات ، ووثبات واختيارات تقطعه عن أن يتم عزما عقده ، أو يبلغ غاية عمل لها ، وقد حدث بهذا حين قال لابن العميد - لما زين له القدوم على عضد الدولة - : إنى ملقى من هؤلاء الملوك ، اقصد الواحد بعد الواحد ، وأملكهم شيئا يبقى ببقاء النيرين ، ويعطوننى عرضا فانيا . ولى ضجرات واختيارات فيعوقوننى عن مرادى ، فأحتاج إلى مفارقتهم على أقبح الوجوه(٤٨) .

وهذا أبلغ وصف لحال أبى الطيب : قلبه ونفسه ، فهو لم ينضج سعيا سعاه ، ولا أتم حيلة احتالها ، ولا أحكم أمرا بدأه . وقد نبه العقاد على هذا المعنى فقال : إن المتنبى كان يشعر شعور عظماء الرجال ، ورجال الأعمال العظيمة ، ويقيس الأمور كما يقيسونها ، ويلزم نفسه الجد الذى يلتزمونه ، ويساوره ما يساورهم من المطامع ، ولكنه لا يتم الأمور كما يتمونها ، ولا يسوس الحوادث كما يسوسونها(٤٩) .

وهذه طبيعة نفسية لو مر معها أبو الطيب على ملوك الأرض قاطبة ما رضى عن واحد منهم فدام رضاه ، أو حمده حمدا لا يؤول إلى ذم .. ومن ضاقت به حلب كيف يسعه ما عداها من البلاد ، ومن مل مجلس سيف الدولة كيف يطيب له مجلس من دونه من الملوك ...

وقد فسر بعض القدماء والمحدثين ضجرات أبى الطيب أقبح تفسير فسروها بفساد القلب ، وقلة الوفاء ، والشره إلى المال ، والاتجار

---

(٤٨) نقلا عن : ذكرى أبى الطيب بعد ألف عام : ١٧٢ .
(٤٩) مطالعات في الكتب : ١٨٦ .

القبيح بالشعر(٥٠) . ولكنى أظنها من الطبائع النفسية التى كان الرجل لا يملك لها دفعا ، ولعـله كان فى بعض الأحـوال يروض نفسه على تركها ، والانتقال عنها ، ولكنها أعجزته . وقد كان يراها تذهب بآماله ، وتعصف برجائه ، وتركبه المراكب الصعبة .. ولكن تأبى الطبـاع على النـاقل .

وأما ان لأبى الطيب من لسانه عدوا . فأبو الطيب مثال للرجـل الذى رفعه لسانه ، ثم حرمه لسانه ، ثم قتله لسانه .. وكان أبو الطيب إذا ألح عليه رجاؤه حاول أن يقمع نفسه ، ويحمل على طبعه لكنـه لا يلبث أن يقذف على لسانه بما ينقض احتياله ، وحسن تأتيه .

ظل دهرا يجهر بتقتيل الملوك ثم يجد نفسه واقفا بأبوابهم ، طامعا فى بعض ما فى أيديهم . ويزعم أنه سيسفك دم الحواضر والبوادى ورزقه من التنقل بين البوادى والحواضر ، ويقول فى كافور : ما لى وللعبد ، وهو يعلم أن أمره مزته إليـه ، وحين أرسل عضد الدولة فى طلبه قال : ما لى وللديلم(٥١) . ثم قصد الديلم .

ورغم أن أبا الطيب ألح فى رجـائه من كافور ، واجتهد أن يحتال له بما يجعله يحقق له أمله .. إلا أنه كان فى الحقيقة ينـازع نفسـه فى هذا ، ويحمل على طبعه ، ويكلفه شـيئا فيه ضده ، وقد لخص هو هذا الأمر أبلغ تلخيص فى قوله :

---

(٥٠) راجـع تفسـير الخوارزمى فى : النثر الفنى فى القـرن الرابع الهجرى : ٣١٩/٢ ، وتفسير محمد مظهر سعيد فى مقال نفسـية المتنبى من كتاب : أبو الطيب المتنبى حياته وشعره : ٩٦،٩٧ .

(٥١) نقلا عن : ذكرى أبى الطيب بعد ألف عام : ١٧٢ .

واسرع مفعول فعلت تغيرا
تكلف شيء فى طباعك ضده(٥٢)

والخلاصة : أن اخفاق أبى الطيب فى مصر وفى غيرها كان من نفسه قبل أن يكون من خارجها .. فهو رجل خلق للسمو والإخفاق معاً ، واكتملت فى نفسه دواعيهما ..

* * *

(٥٢) الديوان : ١٩/٢ .

## الفصل الثالث

# شِفَاءُ النفسِ

كَم قَد قُتِلتُ وكم قد مِتُّ عندكمُ
ثم انتفضتُ فزال القبر والكفنُ

ديوان المتنبي : ٤/٢٣٥



- ١ -

لما عظمت محنة ابي الطيب فى مصر ، وغلب يأسه أمله ، وإخفاقه رجاءه ، وأيقن بالحرمان انكسرت نفسه انكسارها الأكبر ، فتبدلت بعض طبائعة المتأصلة ، وتغير بعض ما كان مطردا من معانى شعره ، ومطامح نفسه .

سكت بعد مصر عن سؤال الإمارة ، وطلب الملك بعد ما أخذ يلح فى طلبهما زمنا ، ويجد فى أثرهما حينا من الدهر . وقد تصفحت شعره الذى قاله لابن العميد ، وعضد الدولة ، فما رأيته يذكر الإمارة فى مدائحه لهما ، ولا يطلبها منهما كما كان يطلبها من كافور قبل أن ييأس منه ويقنط . بل وجدته يقول فى قصيدة مدح بها عضد الدولة ومطلعها :

أوه بديل من قولتى واها
لمن نأت والبديل ذكراها

= إن حسبه من الإمارة أن يكون مادح عضد الدولة ، وراجى عطائه، ومن الملك أن يكون واصل حباله بحباله ، وإنه إن فعل هذا كان كواحد من الملوك ، وذلك فى قوله :

ولا السلاطين من تولاها
والجاء إليه تكن حديثاها(١)

وليس هذا مما كان يرضى أبا الطيب فى مصر ، أو قبلها .

وكان المتنبى عند سيف الدولة تياها على الشعراء والعلماء ،

(١) الديوان ٤/٢٨٠ .

مغاضبا لهم ، ولكنه فى مصر وبعدها ترك هذا إلا قليلا(٢) ، مع أن مجلس كافور كان عامرا بالعلماء والأدباء(٣) .

ولعل أبا الطيب الذى ابتلى بالعداوة والتحاسد فى حلب ، وجنى منهما ما جنى من مر الثمر نفعه ما علم ، ورأى أن لا يعيد فى الفسطاط ما وقع له فى حلب .

وتخفف أبو الطيب من إعلان مقته للعجم ، وثورته عليهم .فقد ظل ردحا من الزمن فى حلب وقبلها يغلو فى التعصب للعرب ، ويشتد فى بغض العجم ، ويجهر جهرا لا روية فيه بالدعوة إلى قيام دولة العرب وملك العرب ، وسقوط دولة العجم ، وملك الخدم ، وشعره فى هذا كثير ، من أشهره قوله من قصيدة فى مدح على بن إبراهيم التنوخى ، وقد بدأها بنفسه قبل الممدوح :

وإنما الناس بالملوك وما
يفلح عرب" ملوكها عجم"
لا أدب" عندهم ولا حسب"
ولا عهود" لهم ولا ذمم
فى كل أرض وطئتها أمم
ترعى بعبد كأنها غنم
يستخشن الخز حين يلبسه
وكان يُبرى بظفره القلم !!(٤)

وقال فى القصيدة هجا فيها ابن كيغلغ :

---

(٢) انظر : أبو الطيب المتنبى فى مصر والعراقين ٣٠٨ .
(٣) انظر : الصبح المنبى : هامش ص ٩٨ .
(٤) الديوان ٤/٥٩ .

أفعـال مـن تلـد الكـرامُ كريمـةً

وفعـال مـن تلـد الأعـاجم أعجـمُ

وقال العكبرى فى شرح هذا البيت : « والأعاجم عند العرب لئام، وهم يسمون من لم يتكلم بلغتهم أعجم »(٥) .

فأبو الطيب يرى أن الأعاجم لئام ، وأن الناس بملوكهم ولا صلاح لعرب يملكهم عجم ، ويوشك هذا المعنى من كثرة ما أفصح عنه ، وكرره فى شعره أن يكون من جملة عقائده الفكرية .

ولكنه سكت فى مصر وبعدها أو كاد عن ذم الأعاجم ، وإعلان المقت لهم ، ومدح ستة منهم بعد أن ترك حلب أغدق عليهم من معانى المدح وهم : كافور ، وأنجور ، وفاتك ، ودلير بن لشكروز ، وابن العميد ، وعضد الدولة(٦) .

قال فى فاتك :

قـد كان فيـه لـكل قـوم ملجـأ

ولسـيفه فى كل قـوم مرتـعُ

إن حـلّ فى فرس ففيهـا ربهـا

( كسرى ) تذل لـه الرقـاب وتخضع

أو حـلّ فى روم ففيها ( قيصـر )

أو حـلّ فى عرب ففيهـا ( تبـعُ )(٧)

هذا يقوله فى عبد رومى .

وفى القصيدة(٨) التى قالها بعد أن ترك مصر إلى الكوفة ، ومدح

---

(٥) الديوان ٤/١٣٢ . وهامشها .
(٦) انظر : المتنبى فى مصر والعراقين ٣٩٩ .
(٧) معجز أحمد ٤/٢٣٠ .
(٨) الديوان ٣/٢٨٩ ـ ٢٩٩ .

فيها دلير بن لشكروز الفتى الديلمى ، أسرف فى رفعه وتعظيمه إسرافا يعسر تفسير ظاهرة . فقد نجمت فتنة فى الكوفة ، أثارها خارجى من بنى كلاب ، فنهض له أهل الكوفة ، ثم وصل دلير الديلمى بعد أن سكنت الفتنة ، وانقلب الخارجى مكسورا . وهذا يعنى أنه لم يكن للديلمى فى رد الفتنة سيف ولا رمح . ولكن المتنبى يسرف فى مدحه فيزعم أن النصر تحقق بذكر اسمه ، ويدعى أن ذكره قام مقام النصول القواطع، ويثنى على فتنة أتت به فيقول :

فلا عدمت أرض العراقين فتنة
دعتك إليها كاشفَ الخوف والمحْل

ظللنا إذا أنبى الحديدُ نصولنا
نجرِّد ( ذكرا ) منك أمضى من النصل

ونرمى نواحيها من (اسمك) فى الوغى
بأنفذ من نشابنا ومن النبل

فإن تك من بعد القتال أتيتنا
فقد هزم الأعداءَ (ذكرُك) من قبل

ويقول فيه أيضا :

وأهدت إلينا غير قاصدة به
كريم السجايا يسبق القول بالفعل

تتبّع آثار الرزايا بجوده
تتبّع آثار الأسنّة بالفتل

شفى كل شاك سيفه ونواله
من الداء حتى الثاكلات من الثُكل

عفيف تروق الشمسَ صورة وجهه
ولو نزلت شوقا لحاد إلى الظل

شجاع كان الحرب عاشقة له
إذا زارها فدّته بالخيل والرّجل

وريّان لا تصدى إلى الخمر نفسه
وعطشان لا تروى يداه من البذل

فتمليك دلير وتعظيم قدره
شهيد بوحدانية الله والعدل ...

فلا قطع الرحمن أصلا اتى به
فإنى رايت الطيب الطيب الأصل

ويعبر المتنبى فى هذه القصيدة عن شغفه بلقاء الديلمى ، ويقول: إنه ليس ممن يعتذر عن لقائه بالشغل - وكان قبل يدعى إلى من فوقه فلا يجيب ، ويمر بمن هو خير منه فلا يلتفت إليه - فيقول :

ولو لم تسر سرنا إليك بانفس
غرائب يؤثرن الجياد على الأهل

وخيل إذا مرّت بوحش وروضة
ابت رعيها إلا ومرجلنا يغلى

ولكن رايت الفضل فى القصد شركة
فكان لك الفضلان فى القصد والفضل

وليس الذى يتبّع الوبل رائدا
كمن جاءه فى داره رائد الوبل

وما انا ممن يدّعى الشوق قلبه
ويحتج فى ترك الزيارة بالشغل

ومعانى المدح فى هذه الأبيات والتى قبلها خير من بعض ما قاله أبو الطيب فى العرب الخلص ، وأحرار الرجال ، وخلاف ما كان يقوله قبل في ملوك الأعاجم ، وأمرائهم .

وقد لاحظت أن أبا الطيب لم يذكر في هذه القصيدة بلاءه في رد الخارجي - وكان أبلى في ذلك - ، ولا بلاء من أبلى من عرب الكوفة وأعرابها ... وعجيب ألا يفخر أبو الطيب بنفسه في هذا الموقف، وهو الذي ملأ الدنيا فخرا يوم قتل عبدا من غلمانه في مهربه من مصر . والأعجب أنه لا يجعل مخاطرته بحياته في هذه الفتنة درءً عن حوزة الإسلام ، ولا دفاعا عن وطنه الكوفة ، ولا تحصيلا للمجد وسعيا إلى العلا ، ولكن ثمنا لإكرام الديلمي له ، ولقاء هدايا نالها منه ، فيقول :

حذرت علينا الموت والخيل تلتقي
ولم تعلمي عن أيّ عاقبة تجلي
فلست غبينا لو شربت منيتي
بإكرام دلّيرُ بن لشكروزّ لي
يمرُّ الأنابيب الخواطر بيننا
ونذكر إقبال الأمير فتحلو لي
ولو كنت أدري أنها سببٌ له
لزاد سروري بالزيادة في القتل

وفي إحدى مدائحه لابن العميد يقول :

منْ مبلغٌ الأعراب أني بعدها
شاهدت رسطاليس والإسكندرا
ومللت نحر عشارها فأضافني
من ينحر البدَر النضار لمن قرى
وسمعت بطليموس دارس كتبه
متملكا متبديا متحضرا
ولقيت كل الفاضلين كأنما
رد الإله نفوسهم والأعصرا(٩)

(٩) الديوان ٢/١٧٠ .

وفي قصيدة أخرى مدحه بها ، وهنأه بالنيروز يقول :

جاءَ نيروزنـــــا وانـت مــــراده
وورت بالـــــذي أراد زنــــــاده
ما لبســـــنا فيـــه الأكاليـــــل حتى
لبســــتها تلاعـــــه ، ووهـــــاده(١٠)

فهو يزعم : إن وقوفه على علم ابن العميد ، وجوده هـون عنده أمر من عرف من الأعراب ، وزهده في جودهم ، ويجعل نيروز الفرس نيروزه في قوله : ( جاء نيروزنا ٠٠ ) ، ويعد نفسه فيمن لبس الأكاليل في قوله : ( ما لبسنا فيه الأكاليل ٠٠ ) ٠

وإذا قيس ما قاله المتنبي هنا في فاتك ، ودلير ، وابن العميـد بما كان يقوله قبل في دولة العجم ، وملك العجم – كان دليلا واضـحا على تحول فكر أبي الطيب ونفسه في هذه المسألة ٠

وقد يفسر مدحه لكافور الأعجمي ، وسكوته عن ذمه – أول الأمر – بالإحتيال عليه ، وحسن التأتي لآماله عنده ، ولكن أيصلح هذا الوجه تفسيرا لمدح من مدحه من الأعاجم غير كافور ؟ يرى الشيخ محمود شاكر أن المتنبي مدح من مدح من الأعاجم ليستخرج بعض ما في أيديهم مـن المال الـذي غلبـوا العرب عليـه ، وليكـون على مقربة من دسـهم ، وما يضمرونه لأمته من المكر السيء(١١) ، فيجعل مدحه للأعاجم جميعا احتيالا ، وحسن تأت ٠ ويرى الدكتـور محمـد يوسـف نجم أن ثورة أبي الطيب على الأعاجم كانت رد فعل لموقف قوم من الأعاجم ، كانوا يودون أن يدال لهم من دولة العرب ٠ وقد قيل إن مردا ويح بن زياد رأس الدولة الزيادية جعل شعاره : « أنا أبطل دولة العرب ، وأرد دولة

---

(١٠) الديوان ٢/٤٧ ، ٤٨ ٠
(١١) انظر : المتنبي ١/١٨٢ ٠

العجم »(١٢) . وهذا التفسير يجعل غضبة المتنبى على الأعاجم من باب دفع الشر بمثله ، « ومداواة الداء بالداء » وكلا الرأيين يجعلان موقف المتنبى من الأعاجم موقفا فكريا .

وغير بعيد أن يكون بعض رأيه فى الأعاجم خاضعا لهذا التفسير أو ذاك . ولكنى أراه موقفا نفسيا أكثر منه موقفا عقليا ، فهو متصل بطموحه وآماله ، خاضع لأطوار نفسه وأحوالها .

وقد يقال : إن مدحه من مدح من الأعاجم من كلام اللسان وخيالات البيان ، لا من حقائق النفس وعقائد الفكر ، ولكن هذا لا يبطل أصل القضية لأن المتنبى كان ينفر منه قبل محنته فى مصر ، ثم هو يروض نفسه عليه فى مصر وبعدها ، فيبقى الأمر محتاجا إلى تفسير مقبول لهذا التحول فى معانى الشعر والنفس .

ومن التحولات فى نفس المتنبى وشعره بعد محنتـه فى مصر أن الغالب عليه قبل مصر أنه رجل يسابق نفسه إلى ما تدعوه إليه ، ويرمى بها إلى حيث رمت به ، ولا يسائلها عن شىء مما جمحت إليه . ثم صار الأغلب عليه بعد إخفاقه أنه يتأمل فى نزعات نفسه ، وينتقد جموحها، وركوبها المشاق . وقد يسأل نفسـه عما عادت عليه به كثرة الأسفار ، والضرب فى البلاد ، ومن أمثلة ذلك قوله فى مسيره من مصر :

حتّام نحن نسارى النجم فى الظلم
وما سراه على خف ولا قدم

(١٢) انظر : مقال من خلاص الفرد إلى خلاص الجماعة فى كتاب : المتنبى مالىء الدنيا ص ٣٩ .

ولا يحسُّ بأجفـــان يحس بهـــا
فقـــدَ الرقـــاد غريب بات لـم ينـم

تســـوّد الشمس منا بيض أوجهنا
ولا تســـوّد بيضَ العـــذْر واللمَم

وكان حالهمـا فى الحـــكم واحـــدة
لو احتكمنـا من الدنيـا إلى حـكـَم(١٣)

فهو يقول هنا : حتام أسارى النجم فاتعب ، ولا يتعب ، وكان قبل يقـول :

تحقــر عـندى همـتى كل مطلـب
ويقصـر فى عيـنى المدى المتطـاول(١٤)

## - ٢ -

هذا الذى أصاب نفس المتنبى بعد إخفاقه فى مصر غير من لهجته، وتركه نهبـا لإحسـاس ممض من اليـأس ، والحـزن ، والانكسـار ، والاستخزاء ، بقى يعمـل عمله نفســـه ، حتى إنـــه ليقول فى قصـيدة مما مدح به ابن العميد : إنه لم يبق منـــه إلا غيظ على الأيـــام يســـتعر استعار النار فى الحشا ، ولكنه كغيظ الأسير على قيوده لا هو يفكها عنه ، ولا يلين مسها ، يقول :

ومنْ لى بيـوم مثـل يـوم كرهتـــه
قربـتُ بــه عند الوداع من البعـــدْ

وانْ لا يخـص الفقـد شيئا فإنـــنى
فقـدت فلم افقـد دموعى ولا وجـدْى

---

(١٣) الديوان ١٥٥/٤ .
(١٤) نفسه ١٧٥/٣ .

تمنٍّ يلذ المستهام بمثله
وإن كان لا يغني فتيلا ولا يجدي
وغيظ على الأيام كالنار في الحشا
ولكنه غيظ الأسير على القدّ (١٥)

فهو يتمنى يوما مثل يوم كرهه ، ويود لو سارت فيه الأيام سيرة عدل فلم تفقده ما أحب ، وتبقى له ماكره . ويعترف بأن أمانية لا تغني فتيلا ، وأن غيظه على الأيام لا ينفعه شيئا . وتأمل الفرق بين قوله هذا وقوله قبل ذلك : إن همته تحقر عنده كل مطلب - وقد تقدم البيت - ، وقوله قبل :

ليس التعلل بالآمال من أربي
ولا القناعة بالإقلال من شيمي (١٦)

وقوله :

إذا صديق نكرت جانبه
لم يعيني في فراقه الحيلُ
في سعة الخافقين مضطربٌ
وفي بلاد من أختها بدلُ (١٧)

والفرق بين هذين الشعرين هو الفرق بين حالتين من نفس أبي الطيب .

ولكن أبا الطيب لم يسلم نفسه ليأسها وانكسارها ، بل اجتهد في أن يتماسك ، ويستقوى ، ويستشفى مما به ، وتجلى ذلك أكثر ما تجلى

---

(١٥) الديوان ٢/٦٠ ، ٦١ .
(١٦) نفسه ٤/٣٩ .
(١٧) الديوان ٣/٢١٢ .

فى هجائه المر لكافور ، وفخاره الجريح بنفسه ، وغنائه الوجدانى الحزين ٠

اما هجاؤه لكافور - بعد ما يئس منه ، وخاب رجاؤه لديه - فهو شفاء نفس ، لم يرم مهجوا غيره بمثل ما رماه به ، ولا هجا ملكا قبله، ولا بعده بمثل ما هجاه به ٠ رماه ابو الطيب بكل ما فى نفسه من مرارة وغيظ ، فاسرف إسرافا شديدا ، واقذع إقذاعا كان مثله حريا بان ينزه منطقه عنه ، ومما قال فيه قوله :

ونام الخويدم عن ليلنا
وقد نام قبل' عمى" لا كرى

وكان على قربنا بيننا
مهامه' من جهله والعمى َ

لقد كنت احسب قبل الخصى
ان الرءوس مقر النهى

فلما نظرت إلى عقله
رايت النهى كلها فى الخصى َ (١٨)

وقال :

نوبيية لم تدر ان بنيها النو
وبى بعد الله يعبد فى مصر

ويستخدم البيض الكواعب كالدمى
وروم العبد ّى والغطارفة الغر ّا

قضاء من الله العلى إرادة
الا َ ربما كانت إرادته شر ّا !!!

ولله آيات وليست كهذه
اظنك يا كافور آيته الكبرى

---

(١٨) الديوان ١/٤٢ ، ٤٣ ٠

لعمريَ ما دهرٌ بـه أنت طيبٌ

أيحسبني ذا الدهر أحسبه دهرا ؟(١٩)

وقال في إحدى مراثيه في فاتك :

قبحـا لوجهك يا زمـان ! فإنـه

وجـه لـه مـن كل لـؤم برقـع

أيمـوتُ مثـل أبي شـجاع فاتـك

ويعيش حاسـده الخصيُّ الأوكـع ؟!

أيـد مقطعـة حـوالي رأسـه

وقفـا يصـيح بهـا . ألاَ من يصـفع(٢٠)

وبالنظر إلى معجم معانيه الهجائية نرى أنه رماه بجملة من الشنائع : رماه بالخسة ، وعيره بالعبودية ، وخساسة الأصل ، وسواد اللون ، ونقصان الفحولة ، واستفاضة البطن ، وعظم المشافر ، ونتن الريح ، وشناعة الهيئة ، ووصمه بالحمق ، والكذب ، والبخل ، واللؤم. هذا عن معجم معانيه ، أما معجمه اللفظي ففيه ألفاظ شنعة مثل الكلب، والخويدم ، والخصي ، والأوكع ، والكركدن .. وغيرها وهذا إقذاع أصح ما يفسر به أنه من باب التماسك ، وشفاء النفس .

ولما كانت مدائح المتنبي لكافور في أول أمره عنده احتيالا ، ومغالبة للنفس ، وحملا على الطبع جاء هجاؤه له بعد ذلك سورة نفس لا ترد ، وجيشان صدر لا يدفع .

ويمكن تقسيم أهاجي المتنبي لكافور إلى مرحلتين : الأولى : همهمات نفس ، وهي المقطعات التي كانت تتنفس فيها نفسه خلال

---

(١٩) معجز أحمد ٤/٤٤٢ .
(٢٠) الديوان ٢/٢٧٥ .

مرحلة التأميل والرجاء ، والحمل على النفس والطبع . وأكثر هذه المقطعات قيلت سنة ٣٤٩ هـ ، ومنها قوله :

لو كان ذا الآكل أزوادنا
ضيفا لأوسعناه إحسانا
لكننا في العين أضيافه
يوسعنا زورًا وبهتانا
فليته خلّى لنا سبلنا
أعانه الله وإيانا (٢١)

وقوله :

أتحلف لا تكلفني مسيرًا
إلى بلد أحاول فيه مالا
وأنت مكلفي أنبى مكانا
وأبعد شقه ، وأشد حالا
إذا سرنا على الفسطاط يوما
فلقني الفوارس والرجالا (٢٢)

وقوله :

أنوك من عبد ومن عرسه
من حكم العبد على نفسه
وإنما يظهر تحكيمه
تحكم الإفساد في حسه (٢٣)

وهي مما قاله في خلوات نفسه ، وكتمه ، ثم أعلنه .

---

(٢١) الديوان ٢٤٨/٤ .
(٢٢) نفسة ٢٧٥/٣ . ولعل الصواب عن الفسطاط .
(٢٣) نفسه ٢٠٣/٢ .

والثانية : مرحلة صريح الهجاء الذى افحش فيه ، واقذع ، وقد مرت بعض أمثلته . وتركز هذا فيما قال سنة ٣٥٠ هـ ، وبعدها . وفى صريح الهجاء إنطلقت نفسه كالسيل الآتى ، ولم يبال بأنه كذب نفسه فيما كان قال أولا ، فما من قبيحة رمى بها كافورا فى الهجاء إلا وفى مدحه له فضيلة تقابلها ، وأنا أعلم ان هذا سائغ فى فن الشعر ، ولكننا هنا نحاكم النفس لا الفن ، ونتعقب الشاعر لا الشعر ..

وإنه ليلوح لى أن المتنبى كان كلما أدار فى نفسه معنى من معانى الهجاء برز له ما يقابله من معانى المدح مما كان قاله لكافور فيشتد فى الهجاء ليمحو بفاحش الهجاء ما كان من المدح ، وليغسل عن نفسه أوضارها . وكان كلما تمثلت له خطته الخاسرة فى نزول مصر ، وقصد كافور أحس بوخزة الهوان ، ولذعة الاستخزاء فاشتد فى الهجاء .

وقد زعم أبو الطيب أنه أخذ بمدح كافور ، وخدع فيه فقال :

أخذت بمدحه فرأيت لهواً
مقالى للأحيمق يا حليم
ولما أن هجوت رأيت عيّا
مقالى لابن آوى يالئيم
فهل من عاذر فى ذا وفى ذا ؟
فمدفوع إلى السقم السقيم (٢٤)

وهذا كلام نفس تستشفى ، وتلتمس لها عذرا ، فهو لم يؤخذ بمدح كافور ، ولا جيء به فى الأغلال ، بل جاء طواعية ، أقدمه طموحه ، وأتى به طعمه ، وحملته رجلاه ، وهو لم ير مدح كافور لهوا بل مدحه وأسبغ عليه ، ولم ير هجاءه عيا بل هجاه فاعلن ، وأقذع .

---

(٢٤) الديوان ١٥٢/٤ .

ولم يكفه هجاء كافور ، بل هجا المصريين جميعا ، ورماهم بالقبيح ، فمصر عنده أهل كل عجيبة ، وكافور أعجوبتها الكبرى ، والمصريون عبيد من ملك ، رضوا بكافور العبد ، وسكنوا إلى سلطانه، يقول :

**تشابهت البهائم والعبدّى**

**علينا والموالى والصميم**

**حصلت بأرض مصر على عبيد**

**كأن الحرُّ بينهم يتيم**

**كأن الأسود اللابىّ فيهم**

**غرابٌ حوله رخمٌ وبوم(٢٥)**

ويقول :

**جازَ الأولى ملكت كفاك قدرهم**

**فعرّفوا بك أنَّ الكلب فوقهم**

**لا شىء أقبح من فحل له ذكر**

**تقوده أمة ليستْ لها رحمُ(٢٦)**

وهب أن المصريين يذمون لأنهم خضعوا لملك كافور ، أليسوا فى هذا أولى بالعذر من أبى الطيب الذى أقدمه الطمع على كافور ، ومدحه بما مدحه به ، وكان يعلم من أمره ما يعلم ، وله عنه مذهب لو أراد ٠ ولكن الطمع أقدمه أولا ، ثم أنطقه الغيظ أخيرا ، فكان عبد نفسه وشهوتها فى الحالتين ٠

والمروى من أخبار كافور ، وبعض ما قاله المتنبى مما يكون به الرجل رجلا يكذبانه فى ما رمى به كافورا ٠ فقد قيل : إن كافورا

---

(٢٥) الديوان ١٥١/٤ ٠
(٢٦) الديوان ١٥٠/٤ ٠

لما غلب على ولد الإخشيد ، واستقل بالأمر دونهم لم يخرج عن حد المدبر إلى حد المالك ، فلم يقم لنفسه دعوة على المنابر ، ولا نقش باسمه سكة ، ورضى أن يخاطب بلفظ الأستاذ(٢٧) ، ولم يخاطب مدة ولايته بلفظ الأمير ، ولا بغيره من الألفاظ الجارية مجراه(٢٨) . فإن صح هذا فهو دليل على أنه كان فى الرجل تواضع يقل مثله فيمن ملك ، أو ولى .

وكان مع تواضعه ذا كفاءة ، وحصافة ، وحسن تدبير ، ونظر فى موارد الأمور ومصادرها . وقد علم ما أراد منه المتنبى فسامه ، وعلله ، وشاوقه ، ومكر به حتى أنزله على مراده هو(٢٩) وهذا من أقوى أسباب ثورة المتنبى به ، وغضبته عليه .

وكان المتنبى ممن يرى أن فخر الرجل بعمله لا بأصله ، ويجده لا بجدوده ، ولو أنه وزن كافورا بهذا الميزان لكان عنده أهلا لما مدحه به ، ولكان حريا بالا يقذع فى هجائه ... فلئن كان كافور فى أصله عبدا ، فإنه لم يكن كذلك فى همته وعمله ، بل كان يعمل عمل أحرار الرجال . فلا يكون عبدا فى همته وعمله من انتخبه محمد بن طغج لقيادة الجيش الذى أرسله للقاء سيف الدولة الحمدانى : داهية بنى حمدان سنة ٣٣٣ هـ ، ولا يكون عبدا فى همته وعمله من أدار أمر مصر

---

(٢٧) هو لفظ فارسى عربته العرب ، ومعناه فى الفارسية : العالم بالشىء الماهر به ، الذى يبصر غيره ، ويسدده ، ويقابلها فى العربية الربانى وهو العالم المعلم .
انظر : الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب ص ٦٠ .
(٢٨) انظر : سر الفصاحة ١٤ .
(٢٩) انظر : رسائل الانتقاد ٦١ .

ثلاثا وعشرين سنة (٣٠) .

وبعض هذا كان حريا أن يرد أبا الطيب عن غلوه فى هجاء كافور ، وإقذاعه فى شتمه ، لولا أن هجاءه - كما قلت - كان هجاء نفسيا ، وشفاء نفس .

ومن الدارسين من تسيره جاهلية عجيبة فى هذه المسألة فيتبع أثر المتنبى فى ما رمى به كافورا ، ويصفه بما وصفه به من قبيح الصفات ، وهو فى مقام التاريخ الأدبى ، وهذا خطأ من قائله .

وأمر آخر . وهو أن الذى منى به المتنبى عند سيف الدولة من خيبة الأمل ، وانقطاع الرجاء أشد مما منى به عند كافور ، فالذى بين المتنبى وسيف الدولة من التناسب الموجب لمعرفة الحقوق وحفظ الأقدار أكثر من الذى بينه وبين كافور ، والذى كان أمام المتنبى من حياته يوم قدم حلب أكثر مما كان وراءه منها ، والذى فى قلبه من دواعى إقبال الحياة أكثر مما فيه من دواعى ادبارها ، وكان الأمر فى مصر بالعكس من ذلك كله .. ولكنه يكتفى بالعتب على سيف الدولة ، ثم يلين له ، ويحن إليه ، أما كافور فيهجوه فيسرف ويقذع ولا أجد لهذا تفسيرا سائغا إلا أن هجاءه لكافور كان استعلاء وشفاء نفس ، وكأنه كان يذم فى الحقيقة خياره فى قصد كافور حين يذم كافورا ..

ومدح أبو الطيب وهو فى حالته تلك رجلين يعد مدحهما فى سياقه من تاريخ نفسه فى مصر هجاء لكافور ، وشفاء نفس أحدهما : شبيب بن جرير العقيلى ، والآخر : فاتك الإخشيدى .

---

(٣٠) انظر : مقال أبو الطيب فى مصر لمحمد شوكت التونى ضمن كتاب : أبو الطيب المتنبى : حياته وشعره ( مقالات مجموعة ) . ٣٣٤ وما بعدها .

أما شبيب فكان قرمطيا ثائرا أمنة كافور ، واستعمله على عمان والبلقاء ، وما بينهما من السهل والجبل ، ثم علا أمره وكثر نفره ، وأنف من أن يدين لكافور ، وعزم على الانفراد بدمشق ، ولكن لم يتم له هذا ، ومات بين جنده ميتة مجهولة السبب ، وذلك فى جمادى الآخرة سنة ٣٤٨ هـ .

وفى شبيب هذا قال المتنبى نونية لها ظاهر وباطن ، ظاهرها نقد خروج شبيب ، وذم خيانته ، وفى ثناياها الثناء عليه ، والتوجع لموته . وفيها يقول :

فإن يك إنسانا مضى لسبيله
فإن المنايا غاية الحيوان

وما كان إلاّ النار فى كل موضع
يثير غبارًا فى مكان دخان

فنال حياة يشتهيها عدوه
وموتا يشهىّ الموت كل جبان

نفى وقع أطراف الرماح برمحه
ولم يخش وقع النجم والدبران

ولم يدر أن الموت فوق شواته
معار جناح محسن الطيران (٣١)

وأبو الطيب قال هذه القصيدة فى سنة ٣٤٨ هـ ، وهو العام الذى لاحت له فيه أعلام أخفاقه فى مصر . ولم يقل فى خروج شبيب حتى طلب منه كافور أن يقول فيه !! وهذا مما يسأل عنه . فهل كان بين المتنبى وشبيب شىء أراد كافور أن يعلم علمه ؟

---

(٣١) الديوان ٢٤٣/٤ ، ٢٤٤ .

ومهما يكن من شيء فإن حديث المتنبي عن شبيب في هذه القصيدة مثقل بالدلالات النفسية ، وكلما أعدت قراءة القصيدة بدا لي أن المتنبي كان يتحدث عن نفسه هو في بعض ما تحدث به عن شبيب ، ويرثى نفسه هو في بعض ما رثاه به ، ويستحضر عاقبة أمره هو ، وهو يصف ما آل إليه أمر شبيب .

وكان الذي عطف نفس المتنبي على شبيب ، حتى ترك حذره وتوقيه ، وأبدى ذات نفسه أن الرجلين كان يجمعهما أمر ، وهو الأنفة من الخضوع لكافور ، والطمع في نيل ما في يديه . أما شبيب ففعل حين وجد إلى الفعل سبيلا ، ولكن أمره لم يتم ، وأما أبو الطيب فركب الحيلة ، وآثر الانتظار حتى رأى نفسه ميتا عند كافور ، وهو حي . ثم كان الغدر نصيب الرجلين معا ، ابتلى شبيب بغدر الحياة ، وابتلى أبو الطيب بغدر الزمان ، وجمع بينهما المصاب ، ولهذا يقول المتنبي :

أتلتمس الأعداء بعد الذي رأت
قيام دليل أو وضوح بيان

رأت كل من ينوي لك الغدر يبتلى
بغدر حياة أو بغدر زمان (٣٢)

والرجل الآخر الذي مدحه المتنبي وكان مدحه في سياقه من تاريخ نفسه في مصر . هجاء لكافور ، وشفاء نفس هو أبو شجاع فاتك . وهو رومي أخذ صغيرا من بلاد الروم ، ثم آل أمره إلى ابن طغج ، فأعتقه ، ونشأ في مماليكه كريم النفس ، حر الطبع ، بعيد الهمة . وحين علا أمر كافور كره فاتك جواره ، وآثر الاقامة في الفيوم بعيدا

---

(٣٢) الديوان ٢٤٣/٤ .

عن الفسطاط أنفة من طاعة كافور ، ولكي لا يركب معه إذا ركب(٣٣) .

وقد مدحه المتنبى بثلاث قصائد أقواها اللامية التى قالها فى جمادى الآخرة سنة ٣٤٨ هـ ، فى نفس الشهر والعام الذى مدح فيه شبيبا بالنونية السابقة ، أى أنهما قيلتا فى حالة نفسية واحدة .

وقد استرد المتنبى فيها بعضا من نفسه التى فقدها ، وجانبا من طريقته الشعرية ، فعاد سيرته الأولى فى المبالغة فى المدح ، وهدر لسانه ، وجسد فى فاتك معانى القوة والفتوة التى فقدها فى أكثر من حوله ، بل وفقدها فى نفسه هو منذ أن صار مادح العبد ، وشاعر دولة الخدم ، ترى هذا فى قوله :

كفاتك ودخول الكاف منقصة
كالشمس قلتُ وما للشمس أمثالُ

القائدُ الأُسْدَ غذتها براثنه
بمثلها من عِداه وهيْ أشبال

القاتل السيفَ فى جسم القتيل به
وللسيوف كما للناس آجالُ

له من الوحش ما اختارت أسنته
عير وهيْق وخنساءٌ وذيّال(٣٤)

ومن وازن بين مدحه لفاتك ، ومدائحه لكافور فى العام نفسه وجد فرقا بين المدحين ، واختلافا بين حالتى النفس التى جادت بهما ، فمدائحه لكافور فى الجملة مدائح نفس منقسمة ، وقلب غير طيع ، ومدحه لفاتك مدح نفس مشايعة ، وقلب جميع .

---

(٣٣) انظر : معجز أحمد ٢٠٤/٤ .
(٣٤) الديوان ٢٧٩/٣ ، ٢٨٠ . والهيق : ذكر النعام ، والخنساء : البقرة الوحشية ، والذيال : الثور الوحشى .

وكان الذى عطفه على فاتك هو هو الذى عطفه على شبيب فالثلاثة يجمعهم معنى واحد وهو كراهية الخضوع لكافور ، والطمع فيما فى يديه ... ويفهم من بعض الروايات التاريخية ، وإشارات فى شعر المتنبى ، انه وفاتكا كانا على راى واحد فى أمر كافور وملكه ، وأنهما كانا يضمران له العداوة ، والشنآن(٣٥) . وكذلك كان شبيب العقيلى.

والتذوق النفسى للامية السابقة يدل على أن المتنبى فيها كمن عادت إليه نفسه ، أو عاد إليها ، وأنه فى مدح فاتك كمن يغسل نفسه مما علق بها ، ويمدح المتنبى الجديد الذى فك عن نفسه قيود الرجاء العقيم ، والأمل المذل . وفى هذه القصيدة عاد إلى بعض طريقته الأولى ، ومذهبه الأول ، فاعطى نفسه حظا من الفخار ، وقاسم الممدوح الفضائل ، بعد أن كان أكثر حظة فى مدائحه لكافور الشكوى ، والغناء الحزين ، فقال :

**وإن تكن محكمات الشكل تمنعنى**
**ظهور جرى فلى فيهن تصهال**
**وما شكرت لأن المال فرحنى**
**سيان عندى إكثار وإقلال**

وقال :

**لولا المشقة ساد الناس كلهم**
**الجود يفقر والإقدام قتال**
**وإنما يبلغ الإنسان طاقته**
**ما كل ما شية بالرجل شملال**

---

(٣٥) انظر : معجز أحمد ٢٠٤/٤ ، ٢٠٦ ، والصبح المنبى ١٢٠ .

**إنا لفي زمن ترك القبيح به**

**من أكثر الناس إحسان وإجمال**

**ذكرُ الفتى عمره الثاني وحاجته**

**ما فاته وفضول العيش أشغال (٣٦)**

وخلاصة القول : أن أهاجي المتنبي لكافور ، وما اتصل بها من مدح خصومه من الشعر النفسي الذي يعد من بعض وجوهه استعلاء ، وتقويا ، وشفاء نفس ٠

وكذلك كانت فخرياته التي قالها في مهربه من مصر وبعيده ٠ فالمعروف من مذهب أبي الطيب قبل مصر أنه كان تياها ، يتعاظم ، ويذهب بنفسه كل مذهب ، وأن الفخر الطاغي كان أحد معاني نفسه ، وأعمده شعره ٠ ولكن فخره بعد إخفاقه في مصر وانكساره مختلف جدا عن فخاره القديم ، كان فخارا جريحا ، ويتمثل هذا فيما قاله من الفخر سنة ٣٤٩ هـ ، وما بعدها ٠

ففي قصيدة الحمى التي فسرت بأنها حمى نفس ، انتهت به إلى حمى جسد يقول :

**ذراني والفلاة بلا دليل**

**ووجهي والهجير بلا لثام**

**فإني استريح بذا وهذا**

**واتعب بالإناخة والمقام**

**عيون رواحلي إن جرت عيني**

**وكل بغام رازحة بغامي**

**فقد أرد المياة بغير هاد**

**سوى عدّي لها برقَ الغمام**

---

(٣٦) الديوان ٣/٢٧٨ ، ٢٨٧ ٠

**يذم لمهجتي ربي وسيفي**

**إذا احتاج الوحيد إلى الذمام(٣٧)**

وهذا الفخر المجلجل ظاهره لا يخفى ما وراء من النفس المكروبة، التى تؤودها قيودها ، ويثقل عليها إخفاقها ، ويشق عليها فقد ما فقدت من حريتها ، فهى لهذا تتماسك وتستشفى ، وتشتهى أن تترك للفلاة بلا دليل ، وللهجير بلا لثام . وقوله : ذراني والفلاة .. يكشف بجلاء عن وطأة ما كان يعانيه من القيد : قيد النفس ، وقيد الجسد .

وقد عمد المتنبى فى البيتين الأخيرين إلى أسلوب الالتفات النفسى، فاستحضر صورا من فتوته قبل المحنة ، ورجولته قبل الكربه ، يوم أن كان يرد المياه بغير هاد سوى عده برق الغمام ، ويذم لمهجته ربه ثم سيفه . والالتفات فى هذه الأبيات وغيرها من وسائل أبى الطيب إلى شفاء النفس ، والاستعلاء على المحنة .

ومن وسائله إلى هذا أيضا فى هذه القصيدة أنه جسد صورة قبيحة لمن هانت عليه نفسه ، وعجز وهو قادر على التمام فقال :

**عجبت لمن له قدٌ وحدٌ**

**وينبو نبوة القضم الكهام**

**ومن يجد الطريق إلى المعالي**

**فلا يذر المطيّ بلا سنام**

**ولم أر فى عيوب الناس شيئا**

**كنقص القادرين على التمام(٣٨)**

وهذا المعنى يصدق على المتنبى يومئذ إلى حد كبير ، حين

---

(٣٧) الديوان ١٤٣/٤ ، ١٤٤ .

(٣٨) الديوان ١٤٥/٤ .

استذله طمعه ، وقيده رجاؤه ، وباع لهذا ما باع من نفسه . وإذا كان يعجب ممن هذا حاله فإنه في واقع الأمر يعجب من نفسه ، بل يقرعها لركونها إلى الرجاء العقيم في ظل دولة الخدم ، ويدعوها إلى الاستشفاء . ولذا ربط بين هذه الأبيات وبين إقامته الذليلة في أرض مصر ، فقال بعقبها :

**أقمتُ بأرض مصر فلا ورائي**

**تخبُّ بي المطيُّ ولا أمامي**

**وملَّني الفراشُ وكان جنبي**

**يملُّ لقاءَه في كل عام**

وبقوى هذا الاحساس بالتقوى في آخر قصيدة مدح بها كافورا ، ولم يلقه بعدها . فبعد مطلع وعر التركيب يقول في وصف نفسه :

**وفي الجسم نفسي لا تشيب بشيبه**

**ولو أنَّ ما في الوجه منه حرابُ**

**لها ظفرٌ إن كلَّ ظفرٌ أعدُّه**

**ونابٌ إذا لم يبق في الفم نابُ**

**يغير مني الدهر ما شاء غيرها**

**وأبلغ أقصى العمر وهي كعابُ**

ويطلق هذه النفس من عقلها فيقول :

**وإني لنجم يهتدي بي صحبتي**

**إذا حال من دون النجوم سحابُ**

**غني عن الأوطان لا يستفزني**

**إلى بلد سافرت عنه إيابُ**

**وأصدي فلا أبدي إلى الماءِ حاجة**

**وللشمس فوق اليعملاتِ لعابُ**

وللســـرّ مـنى موضـع لا ينالــه
نديـم ولا يُفضـى إليـه شـــراب
تركنـا لأطـراف القنـا كل شـــهوة
فليـس لنـــا إلا بهـــن لِعـــاب

وهــذا حديث نفس بعثت بعد طول رقاد ، وضـيق مرقد ، ونفضت عنها أكفافها . واجتهدت في أن تغسل ما علق بها من القـذى ، والأذى .

ومن عجيب فخـاره النفسى قصيدته التى سجل فيهـا هروبه من مصر ، وقد ضمنها ضروبا عجيبة من شـفاء النفس ، وإماطة ما لحق بهـا من الأذى . فبعد أن ذكر رحلة ناقته ، وما مرت به من البـــلاد والمواضع قال :

فلمـــا انخنـــا ركزنا الرمـــا
ح فـــوق مكارمنـــا والعُـــــلا
وثبّتنا نقبـــــل اســـــيافنا
ونمســـحها من دمـــــاء العـــدا
لتعـــلم مصـــر ومن بالعــــراق
ومن بالعواصــــم انى الفـــتى
وانـــى وفيـــت وانـــى ابيــــت
وانـــى عتـوت عـلى من عتـــا
ولا كل من قــــال قـولا وفى
ولا كل من سيم خسفاً ابى
ولا بد للقــــلب من آلــــة
وراى يصدّع صُـمّ الصفا..(٣٩)

---

(٣٩) الديوان : ٤١/١ ، ٤٢ .

وإذا حقق هـذا الفخر الطاغى ، وما اشتمل عليه من ذكر الرماح المركوزة بين المكارم والعلا ، وتقبيل السيوف بعد مسحها من دمـاء العـدا ، وإعلام من بمصر والعـراق وسـائر العواصم أن المتنبى هو الفتى ، وأنه وفى ، وعتا ، وأبى على من أبىَ = وجدَ فخرا أكبر من سببه .

فأبو الطيب خرج من مصر خائفا يترقب ، يرجو الفوت ، ويخشى اللحـاق ، وركب الليل جملا . وغاية ما فى الأمر أنه هاربٌ نجا ، وفارٌ أفلت . وإذا جـاز لغير أبى الطيب أن يفخـر بمثل هـذا ، فأمره هو مختلف ، فكيف يفخر بالهرب والفرار مثل هـذا الفخر من كان يزعم أنه مجندل الملوك ، ومديل الدول ؟

وقد افتخر بمهربه من مصر فى قصيدة أخرى فقال :

**قطعت بسـيرى كل يهماء مفـزع**
**وجبت بخيـلى كل صـرماء بلقع**
**وثلمت سـيفى فى رءوس وأذرع**
**وحطمت رمحى فى نحـور وأضـلع**
**وصـيرت رأيى بعـد عزمى رائـدا**
**وخلفـت آراء توالت بمسمعى(٤٠)**

نعم إن توفيقه فى الهرب ، وفوته طالبيه ، وبلوغه غايته فيـه موضع لفخر ، ولكن ليس إلى هـذا الحـد ، ولا ممن جاء مصر طالبـا ملكا وولاية . وليس لهذا من تفسير مقبول سوى أنه استعلاء ، وشـفاء نفس .

واعجب شىء قوله : وثبنا نقبل أسيافنا ، ونمسحها من دمـاء العدا . وقوله : وثلمت سيفى فى رءوس وأذرع . والذى فى أخبار رحلته

---

(٤٠) معجز أحمد : ٤٤١/٤ .

من مصر انه صحب فى مسيره جماعة من العرب(٤١) ، ولقى عند ماء نخل فى التيه من سيناء رجالا صادرين عن الماء فأخذهم ثم تركهم ، وضرب وجه عبد من عبيده بالسيف فقتله(٤٢) . فهل يقال فى أخذ وفد صادرين عن الماء ثم تركهم ، وضرب وجه عبد لخارج : نقبل أسيافنا ، ونمسحها من دماء العد ، وثلمت سيفى فى رءوس وأذرع ؟!! .
ولكنه التقوى ، وشفاء النفس السقيمة .

لقد كان هروب المتنبى من مصر ، وما وقع له فيه من الحوادث فرصة تنفست فيها نفسه . وشعره يدل على انه فكر فى الهروب قبيل أواخر عام ٣٤٩هـ ، وبات يتحين الفرصة لانفاذ ما عزم عليه ، يقول من قصيدة له يومئذ :

وللسر منى موضع لا يناله
نديم ولا يفضى إليه شراب(٤٣)

وإذا تأملنا هذا البيت فى سياقه وجدنا أن أقرب ما تنصرف إليه كلمة « السر » الذى لا يناله نديم ، ولا يفضى إليه شراب هو عزمه على الرحيل من مصر .

ومن شفاء النفس وصفه لغلمانه الذين كانوا يقومون على خدمته فى رحلته من مصر ، يقول فيهم :

فى غلمة اخطروا أرواحهم ورضوا
بما لقين رضا الأيسار بالزّلم

---

(٤١) انظر : الخصائص : ١/٢٣٩ ، وراجع . الصبح المنبى : ١٢٤ .
(٤٢) انظر : معجز أحمد : ٤/١٧٩ ، ١٨٣ .
(٤٣) الديوان : ١/١٩٢ .

تبـدو لنـــا كلمـا القوا عمائِمهم
عمـائمٌ خلقت سُـــودا بـــلا لثُم
بيض العوارض طعانون من لحقـوا
من الفـــوارس شـــــلالون للنعم
قد بلغـوا بقنـــاهم فوق طاقتـــه
وليس يبلُغُ مـا فيهـــم من الهمـم
في الجـــــاهلية إلاّ أن أنفســـهم
من طيبهن به في الأشـهر الحُرُم
ناشـوا الرّماح وكانت غير ناطقـــة
فعلموها صياح الطير في البُهَم(٤٤)

فهو يصف غلمة يقومون على دوابه ورحـاله بما يوصف به جيش جـرار ، زاحف ، ملأ الأرض . وهذا حديث نفس خاب رجاؤها في واقع الحياة ، فالتمسته في خيالات الشعر .

وكأني بأبي الطيب قـد داعبته الآمـال وهو قـادم إلى مصر . وحدثتـه نفســه بأنه ســينال ملكا ، ويخـــرج من الفسـطاط بجيش زاحف ، يفتح البلاد ، ويقوض العروش .. ولكنه خرج منها متخفيا في فتيـة من خاصـته ، فأراهم الوهم ، والعقل البــاطن على صـورة الجيش الزاحف ، والجمع الكثير العدد(٤٥) .

وكان أبو الطيب في مرحـلة قوة رجـائه قد سـكت عن مذهبـه القـديم في ركوب السيف ، وتحكيمه في رقاب العباد .. ، ولكنـــه بعـد أن أيقن بالإخفاق والحـرمان عاد سيرته الأولى فقدم السيف على الشعر ، أو قل ضعف إيمانه بالشعر ، وقـوى إيمانه بالسيف كوسـيلة

---

(٤٤) الديوان : ٤/١٥٧ .
(٤٥) راجع : مع المتنبي : ٣٤١ .

لتحقيق الآمال . قال فى القصيدة التى سجل فيها خروجه من مصر :

ما زلت اضحك إبلى كلما نظرت
إلى من اختضبت اخفافها بدم
أسيرها بين اصنام اشاهدها
ولا اشاهد فيها عِفّة الصنم
حتى رجعت واقلامى قوائل لى
المجد للسيف ليس المجد للقلم
أكتب بنا أبداً بعد الكتاب بِهِ
فإن غفلت فدائى قلة الفهم
أسمعتنى ودوائى ما اشرت به
فإنما نحن للأسياف كالخَدَم
من اقتضى بسوى الهندى حاجته
أجاب كل سؤال عن هل بِلَمِ ..

ويقول فيها :

فلا زيارة إلا ان تزورهم
أيدٍ نشأن مع المصقولة الخُذُم
من كل قاضية بالموت شفرته
ما بين منتقم منه ، ومنتقم
صُنّا قوائمها عنهم فما وقعت
مواقع اللؤم فى الأيدى ولا الكَزَم(٤٦)

وربما أوهم بعض شعر المتنبى أنه آمن بالقلم موصلا إلى ما أراد من المجد فى مصر ، حتى دلته حوادث الأيام على أن المجد للسيف

---

(٤٦) الديوان : ٤/١٥٩ - ١٦١ . والكزم : قصر اليد .

لا للقلم ، ولكن الأرجح أن المتنبى لم يفقد إيمانه بالسيف ، ولا آمن بالشعر إيمانه بالسيف فى يوم من الأيام ، وقد نبه العقاد على هذا المعنى من قبل فقال : إن المتنبى كان يستكثر نفسه على الشعر ، ويطلب لها مرتبة فوق مرتبة الشاعر لأنه كان يرى أنه خلق للملك والقيادة ، وكل ما دون هذا إنما هو من الوسائل إلى تلك الغاية ، وذلك المطمح(٤٧) . والملك ينال بالسيف ، وقلما ينال بالشعر .

ويدخل فى شفاء النفس أيضا بعض غنائه الوجدانى الذى أعطى فيه نفسه خطها من البوح ، وتركها تتنفس بحرية ، بعد أن حمل عليها زمنا ، وقمعها طويلا ، قال فى إحدى هجائياته لكافور :

**أما فى هذه الدنيا كريم**
**تزول به عن القلب الهمُومُ ؟!**
**أما فى هذه الدنيا مكان**
**يُسَرُّ بأهله الجار المقيم ؟!!(٤٨)**

وقال فى القصيدة التى دون فيها خروجه من مصر :

**هـوِّن على بصر ما شَق منظره**
**فإنما يقظات العين كالحلم**
**ولا تَشَكَّ إلى خلق فتشمته**
**شكوى الجريح إلى الغربان والرخم**
**وكن على حذر للناس تستره**
**ولا يغرنك منهم ثَغر مبتسم**
**غاض الوفاء فما تلقاه فى عدة**
**وأعوز الصدق فى الأخبار والقسَم**

---

(٤٧) انظر : مطالعات فى الكتب : ١٨٢ .
(٤٨) الديوان : ٤/١٥١ .

سبحان خـــالق نفس كيــف لذتهــا
فيما النفــوس تــراه غـــاية الألــم

الدهر يعجب من حــملى نوائبــــه
وصـــبر جسمى على أحداثه الحَطُمِ

وقت يضـــيع ، وعمر ليت مـدته
فى غير امتــه من ســـالف الأمَمِ

أتى الزمـان بنـــوه فى شـــبيبته
فســرّهم واتيناه على الهـَـرَم(٤٩)

وهذه معانٍ يدخل بعضـها فى بعض . فيها شكوى الزمان وأهله وسوء الظن بالناس ، والتعجب من وعورة مطالب النفس .. وأبو الطيب فى هـذا الشعر وما أشبهه يريد أن يحمل الحياة والأحيـاء تبعــة إخفاقه ، ويجعلهما سبب شقائه ، وقلما يرد ذلك إلى عسر مطلبــه .. وهذا ضَــرْب" من نُصْرة النفس ، ومحـاولة شفائها بالتماس المخارج لهـا ، والاعتذار عنها .

ومن جديد معانى نفس المتنبى وشعره فى هـذه المرحـلة تأمله فى واقع نفسه ، وغلبة النظرة الواقعية عليه بعد ما كان ديدنه رفض الواقع والثورة عليه ، يقول فى قصيدة مما تنفست فيـه نفســه ، ولم ينشده كافورا :

صحب النـــاس قبلنـــا ذا الزمـانا
وعنـاهم فى شــــانه ما عنـــــانا

وتَوَلّوا بغصَّــــــة كلهـــم منـــ
ـــه وإن سَـــرّ بعضــهم أحيـانا

(٤٩) الديوان : ١٦٢/٤ ، ١٦٣ .

ربمـــا تحسن الصـــنيع ليـــالي

ـــه ولـكن تـكدر الإحســــانا

وكانا لم يرض فينــــا يريب الــ

ــدهر حــتى اعـــانه من اعــــانا

كلما انبت الزمـــــان قنـــــاة

ركب المــرء فى القنـاة ســـنانا

ومراد النفــــوس اصــغر من ان

نتعـــادى فيـــه وان نتفـــانا(٥٠)

وهذه واقعية جديدة تعلمها أبو الطيب من محنته فى مصر ، بعد أن ذللته الأحـداث وراضته على بعض ما كان ينفر منه .

على أن تماسك أبى الطيب الظاهر فى فخاره وهجائه إنما هو من باب التجلد للحياة والأحياء ، واستبقاء ما بقى من النفس . ولذا جاء هذا التماسك والتقوى مصبوغا بمعانى الحزن والشـكوى ، الدالين على انكسار النفس وتضعضعها . ففى إحدى هجائياته لكافور يمزج هجاءه الذى شـفى فيه نفسـه بغنـاء حزين بائس ، فيقول :

افيقـا : خمـار الهمّ نغصنى الخمر

وسكرى من الأيـام جنبنى السُّـكر

تسـر خليـلى المدامـــة والـــذى

بقـلبى يابى ان اسَـــرّ كما سُرّا

لبست صـروف الدهر احسن ملبس

فعرقننى نابا ، ومزقننى ظفـــرّ

(٥٠) الديوان : ٤/٢٣٩ ـ ٢٤١ .

وفى كل لحظ له ومسمع نغمة

يلا حظنني شرزاً ويوسعنني هجرا(٥١)

وكان الاغلب على أبى الطيب قبلُ انه لا يعترف بضعفه ، ولا يقر بعجزه ، ويطاعن خيلا من فوارسها الدهر كما كان يقول ، ولكنه الآن معترف يقر بعتو الزمان عليه .

وفى القصيدة التى قالها قبل خروجه من مصر بيوم واحد . يشكو ويتوجع فيقول :

يا ساقيَيَّ اخمرٌ فى كئوسكما

أم فى كئوسكما هم وتَسْهيد

أصخرة أنا ؟ ما لى لا تحركنى

هذى المدام ولا هذى الأغاريد ؟ ..

ماذا لقيت من الدنيا ؟ واعجبها

انى بما انا باك منه محسُود(٥٢)

وهذا كلام نفس مثقلة .

ويفتتح أبو الطيب قصيدته الاستعلائية التى ذكر فيها خروجه من مصر بمطلع طويل فى الناقة فيقول :

الا كل ماشية الخيزلى

فدى كل ماشية الهَيْذبى

وكل نجاة بجاوية

خنوف ، وما بِىَ حسنُ المِشى

---

(٥١) معجز أحمد : ٤٤١/٤ .
(٥٢) الديوان : ٤١/٢ .

ولكنهن حبـــال الحيـــــاة
وكيـد العـــداة ومَيْط الأذى
ضربت بها التيـه ضربَ القما
ر إمّا لهـــذا ، وإما لـذا
إذا فزعت قدمتهـــا الجيـــادُ
وبيض السيوف وســـمرُ القنـــا
فمرّت بنخـــل وفى ركبهـــــا
عن العـــاملين وعنـــه غنى
وامســـت تخـبّرنا بالنقـــا
ب وادى المياه ووادى القـــرى
وقلنـا لهـا اين ارض العـــراق
فقـالت ونحـــن بتُرْبان : هنَا
وهبّت بحسـمى هبـــوب الدبـــو
ر مستقبلات مَهَبَّ الصبَا(٥٣)٠٠

وهو لم يصف الناقة هنـا بما وصفها به ، وينسب إليها أفعـــال نفســه إلا لأنها كانت كما قال ـ حبل حياته ، وكيد عداته ، وميط أذاه أي : شفاء نفسه ٠

على انى أرى فى اتخـاذ الناقة معاد لا موضوعيا لنفسه ، واجراء أفعال نفسه عليها ، حيلة فنية ونفسية حتى لا ينسب فعل الهروب إلى نفسه ٠ فهى التى مرت بنخل ، وأمست تخـبره بالنقـاب ووادى الميـاه ووادى القرى ، وقالت له : هذه أرض العراق ، وهبت بحسمى ٠٠الخ ٠

---

(٥٣) الديوان : ٣٦/١ ـ ٣٩ ٠

فإن صح هذا التفسير فهى حيلة فيها براعة الفن ، ولكنها تخفى وراءها ما تخفى من الضعف ، فكأن الناقة كانت ستره الذى ستر به ضعف نفسه ، واستعلى به على هذا الضعف فى آن واحد .

والخلاصة أن شعر المتنبى الذى تقوى فيه وتماسك ، واستعلى على محنته لا يخفى عنا أن اخفاقه فى مصر كان محنة نفسه الكبرى ، التى عجمته عجما شديدا وغيرت كثيرا من مذاهبه الفكرية والنفسية .



## المصادر والمراجع


١ - **أبو الطيب المتنبى فى مصر والعراقين** : للدكتور مصطفى الشكعة، عالم الكتب . بيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٣ .

٢ - **أبو الطيب المتنبى** : حياته وشعره ( مقالات مجموعة بأقلام نخبة من الباحثين . المكتبة الحديثة للطباعة والنشر ، بيروت .

٣ - **الأسلوبية والأسلوب ( نحو بديل السنى فى نقد الأدب )** : للدكتور عبد السلام المسدى . الدار العربية للكتاب . ليبيا وتونس سنة ١٩٧٧ م .

٤ - **أعيان الشيعة** : للسيد محسن الأمين ، حققه وأخرجه واستدرك عليه حسن الأمين . دار التعارف للمطبوعات . بيروت .

٥ - **الانفعالية والإبلاغية فى البيان العربى** : لعاصم كمال السيوفى . دار الحداثة للطبع والنشر والتوزيع . الطبعة الأولى لبنان ١٩٨٦.

٦ - **الخصائص لابن جنى** : تحقيق محمد على النجار . دار الكتاب العربى .

٧ - **الخيال الشعرى عند أبى الطيب المتنبى** : للدكتور طه مصطفى أبو كريشة ، الطبعة الأولى سنة ١٩٧٨ م .

* - **ديوان أبى الطيب المتنبى بشرح أبى البقاء العكبرى المسمى بالتبيان فى شرح الديوان** : ضبطه وصححه ووضع فهارسه مصطفى السقا، وإبراهيم الابيارى ، وعبد الحفيظ شلبى ، مطبعة مصطفى الحلبى الطبعة الثانية سنة ١٩٥٦ م .

٨ - **ذكرى أبى الطيب بعد الف عام** : لعبد الوهاب عزام ، ط دار المعارف .

٩ - **رائد الدراسة عن المتنبى** : وضعه كوركيس عواد ، وميخائيل عواد ، دار الرشيد للنشر . بغداد سنة ١٩٧٩ م - سلسلة المعاجم .

١٠ - سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي : تحقيق عبد المتعال الصعيدي، مطبعة صبيح سنة ١٩٥٢ م .

١١ - شاعرية المتنبى فى نقد القرن الرابع الهجرى : للدكتور محيى الدين صبحى . دمشق سنة ١٩٨٣ .

١٢ - شرح ديوان أبى الطيب المتنبى ( المعروف بمعجز أحمد ) لأبى العلاء المعرى : تحقيق الدكتور عبد المجيد دياب . دار المعارف بمصر .

١٣ - شرح ديوان أبى الطيب المتنبى لابن جنى : تحقيق د.صفاء خلوصى ، مطبعة الجمهورية . بغداد سنة ١٩٧٠ م .

١٤ - شعر المتنبى : قراءة أخرى للدكتور محمد فتوح أحمد ، دار المعارف سنة ١٩٨٣ م .

١٥ - الصبح المنبى عن حيثية المتنبى ليوسف البديعى : تحقيق مصطفى السقا ومحمد شتا وعبده زيادة ، الطبعة الثانية ، دار المعارف سنة ١٩٧٧ .

١٦ - فن المتنبى بعد ألف عام : لإبراهيم العريض ، الكويت . الطبعة الثانية سنة ١٩٧٣ م .

١٧ - كافوريات أبى الطيب : دراسة نصية للدكتور النعمان القاضى ، مركز كتب الشرق الأوسط سنة ١٩٧٥ م .

١٨ - الكشف عن مساوىء شعر المتنبى لأبى القاسم إسماعيل بن عباد: تحقيق محمد حسن آل ياسين . مكتبة النهضة . بغداد سنة ١٩٦٥ الطبعة الأولى .

١٩ - لسان العرب لابن منظور المصرى : طبعة دار المعارف .

٢٠ - المتنبى لمحمود محمد شاكر : مطبعة المدنى سنة ١٩٧٦ م .

٢١ - المتنبى بين ناقديه في القديم والحديث : للدكتور محمد عبد الرحمن شعيب ، دار المعارف سنة ١٩٦٤ م .

٢٢ — **المتنبى حكمه وامثاله** : لعلى رضا ، بدون ذكر مطبعة او تاريخ ٠
٢٣ — **المتنبى والثورة** : لانعام الجندى ، دار الفكر اللبنانى ٠
٢٤ — **المتنبى مالىء الدنيا وشاغل الناس** : ( مقالات مجموعة ) ٠
دار الرشيد للنشر ، وزارة الثقافة العراقية ، سلسلة دراسات(١٦٨)
٢٥ — **مطالعات فى الكتب والحياة** : لعباس العقاد ٠ دار الكتاب العربى
بيروت ٠
٢٦ — **مع المتنبى** : للدكتور طه حسين ، طبعة دار المعارف ٠
٢٧ — **معجم الادباء** : لياقوت الحموى دار الفكر العربى ، الطبعة
الثالثة سنة ١٩٨٠ م ٠
٢٨ — **نفسية أبى نواس** : للدكتور محمد النويهى ٠ مكتبة النهضة
المصرية ، الطبعة الأولى سنة ١٩٥٣ م ٠
٢٩ — **الوساطة بين المتنبى وخصومه** : لعلى بن عبد العزيز الجرجانى ،
تصحيح أحمد عارف الزين ، مطبعة محمد على صبيح ٠
٣٠ — **يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر** : لأبى منصور الثعالبى ٠
دار الفكر ببيروت ، الطبعة الثانية سنة ١٩٧٣ م ٠

**لحق المراجع(*)**

١ - **أبو الطيب فى مصر** : محمد شوكت التونى ، مجلة الهلال (٤٣) ، القاهرة سنة ١٩٣٥ ( من صفحة ١١٦٥ إلى ١١٦٨ ) .

٢ - **أبو الطيب المتنبى ونسبه العلوى** : وديع تلحوق ، المقتطف يوليو ١٩٣٦ ( من صفحة ٢٣١ إلى ٢٣٥ ) .

٣ - **أبو الطيب المتنبى وشخصيته** : د. محسن جمال الدين ، مجلة الكويت ، عدد ٩٤ أكتوبر ١٩٦٦ ( من صفحة ٢٢ إلى ٢٣ ) .

٤ - **أبو الطيب المتنبى بين الغرور والطموح والحزن** : على ادهم ، فصل من كتابه على هامش الأدب والنقد ( من صفحة ٧٠ إلى ٧٩ )

٥ - **أبو الطيب المتنبى كان عبقريا .. ولكن** : خليل مطران ، جمع فى كتاب أبو الطيب المتنبى حياته وشعره ( انظره فى ثبت المراجع )

٦ - **أبو الطيب تاجر من تجار الأدب** : سليم عبد الأحد ، جمع فى كتاب أبو الطيب المتنبى حياته وشعره .

٧ - **الاتجاه الباطنى فى شعر المتنبى** : عزيز عارف ، مجلة المورد ، عدد ٣ ، سنة ١٩٧٧ ( من صفحة ٩٧ إلى ١٠٨ ) .

٨ - **أثر الإخفاق فى شعر المتنبى** : صبيح صادق ، مجلة المورد ، عدد٣ سنة ١٩٧٧ ( من صفحة ١١٣ إلى ١٢٠ ) .

٩ - **أمنية المتنبى التى لم تتحقق** : عبد الله كنون ، فصل من كتابه التعاشيب ، طبعة المغرب ١٩٤٦ م ( من صفحة ٥١ إلى ٥٩ ) .

١٠ - **بين المتنبى وكافور** : نور شمس الدين ، الرسالة والرواية (١٩) ، القاهرة ١٩٥١ ( من صفحة ٨٦٣ إلى ٨٦٥ ) .

(*) مقاولات وفصول عن المتنبى ، وقفت على بعضها دون اكثرها ، ورأيت فى إثباتها هنا فائدة .

١١ - **البطل القومى فى شعر المتنبى :** عبد الرازق البصير ، من أبحاث مهرجان المتنبى فى بغداد ( من صفحة ٥ إلى ١٠ ) تشرين الثانى سنة ١٩٧٧ م ٠

١٢ - **التضخم الذاتى عند المتنبى :** أسبابه ومظاهره ، عدنان عيسى العوادى ، مجلة الأقلام عدد (٣) ج (٤) بغداد سنة ١٩٦٦ م ( من صفحة ١٦٧ إلى ١٧٨ ) ٠

١٣ - **تفسير شخصية المتنبى من شعره :** د٠ داود سلوم ، مجلة الكتاب التى تصدرها جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين ببغداد ، تشرين الثانى ١٩٧٢ ٠ العدد ( ٤ ) ( من صفحة ١٧ إلى ٤٠ ) ٠

١٤ - **الثورية فى شعر المتنبى :** على الشوك ، مجلة المقتطف بغداد سنة ١٩٦٠ عدد ( ١٧ ) ( من صفحة ٥ إلى ٢١ ) ٠

١٥ - **جنون العظمة فى المتنبى ، مرض نفسى :** عبد الرحمن صدقى ، مجلة الهلال (٤٣) القاهرة ١٩٣٥ ( من صفحة ١١٧٧ إلى ١١٨٢ )

١٦ - **جنون العظمة فى المتنبى فضيلة خلقية :** طاهر أحمد الطناحى ، مجلة الهلال (٤٣) ، القاهرة ١٩٣٥ ( من صفحة ١١٨٢ إلى ١١٨٧ ) ٠

١٧ - **حقيقة التصغير فى شعر المتنبى :** يوسف حسين بكار ، مجلة الأقلام ، بغداد سنة ١٩٦٦ ، ج (٨) ( من صفحة ١٦٨ إلى ١٧٥ )

١٨ - **حياة المتنبى حياة متعبة ممزوجة بالدم :** شفيق جبرى ، جمع فى كتاب : أبو الطيب المتنبى : حياته وشعره ٠

١٩ - **الحياة الفنية فى عصر المتنبى :** حسن محمد الهوارى ، جمع فى الكتاب السابق ٠

٢٠ - الدسائس بين المتنبى والصاحب بن عباد : زكى مبارك جمع فى الكتاب السابق .

٢١ - سر الاحتفال بالمتنبى : د.محمد حسين هيكل ، جمع فى الكتاب السابق .

٢٢ - الشاعر الطموح : على الجارم ، الحلقة (٥) من سلسلة اقرأ ، القاهرة ١٩٤٧ .

٢٣ - الشاعر ابو الطيب : على الجارم ، جمع فى كتاب : ابو الطيب المتنبى : حياته وشعره .

٢٤ - شخصية المتنبى في شعره : عباس العقاد ، جمع فى الكتاب السابق

٢٥ - الشعر الذى انشاه المتنبى لنفسه : د. محمد عوض محمد ، بحوث مجمع اللغة العربية ، الدورة (٣٢) ، القاهرة ١٩٦٦ ( من صفحة ٢٥ إلى ٤٢ ) .

٢٦ - شهرة المتنبى شهرة العظمة والفن الخالد : محمد محمد توفيق ، جمع فى كتاب : ابو الطيب المتنبى : حياته وشعره .

٢٧ - العروبة فى شعر المتنبى : د. شوقى ضيف ، فصل فى كتابه: فصول فى الأدب والنقد ، دار المعارف ١٩٧١ ( من صفحة ٧٣ إلى ١٠٦ ) .

٢٨ - غزل المتنبى وحبه : على الجندى ، صحيفة دار العلوم ، القاهرة ١٩٣٦ ( من صفحة ١٧٥ إلى ١٩٨ ) .

٢٩ - الغموض فى شعر المتنبى : عبد الرحمن البرقوقى ونقولا حداد ، جمع فى كتاب : ابو الطيب : حياته وشعره .

٣٠ - الفصل فى نبوءة المتنبى من شعره : عبد المتعال الصعيدى ، مجلة الرسالة ، القاهرة ١٩٣٦ ( صفحة ١٨٠٤،١٨٠٥،١٨٤٨،١٨٤٩)

٣١ ـ كافور بين مدح المتنبى وهجائه : إبراهيم مصطفى الواعظ
١٩٥٨ ذكر في كتاب : مصادر الدراسة الادبية للدكتور يوسف
أسعد داغر .
٣٢ ـ المتنبى بين محاسنه ومباذله : شكيب ارسلان ، جمع فى كتاب
ابو الطيب المتنبى : حياته وشعره .
٣٣ ـ المتنبى وكافور : د. نعمات احمد فؤاد ، مجلة الرسالة ، القاهرة
١٩٤٨ ( من صفحة ٧٠٧ إلى ٧٠٨ ) .
٣٤ ـ المتنبى فى مصر : د. على النجدى ناصف ، صحيفة دار العلوم،
القاهرة ١٩٣٦ ، ج (٤) ( من صفحة ٣٣ إلى ٥٢ ) .
٣٥ ـ المتنبى بين نفسيته وشاعريته : د.محمد مهدى علام ، مجلة
مجمع اللغة العربية ، القاهرة ١٩٦٣ ( من صفحة ١٥ إلى ٣٣ ).
٣٦ ـ المتنبى شاعر التمرد : د.صفاء خلوصى ، جريدة المرفأ ، البصرة
١٩ تشرين الثانى ١٩٧٧ صفحة (٤) .
٣٧ ـ المتنبى والقرامطة : محمد برادة ، مجلة البحث العلمى يصدرها
المركز الجامعى للبحث العلمى ، جامعة محمد الخامس ، الرباط
يناير ـ ابريل سنة ١٩٦٤ ، عدد (١) (من صفحة ١٠٠إلى١١١)
٣٨ ـ المتنبى في مصر : أحمد بدوى ، صحيفة دار العلوم ، القاهرة
١٩٣٦ ج (٤) ( من صفحة ٨٠ إلى ١١٢ ) .
٣٩ ـ المتنبى بين الطموح والاحباط : منذر خلف الجبورى ، جريدة
الجمهورية ، بغداد ، ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٧٧ م .
٤٠ ـ نبوة المتنبى : د. مهدى المخزومى ، مجلة الغرى ، النجف ٧ آب
١٩٤٥ ، العدد (٢١) ( من صفحة ٣٦٨ إلى ٣٧٠ ) .
٤١ ـ نشأة المتنبى : الشيخ عبد الوهاب النجار ، صحيفة دار العلوم
القاهرة ١٩٣٦ ، ج (٤) ( من صفحة ٢٧ إلى ٣٢ ) .

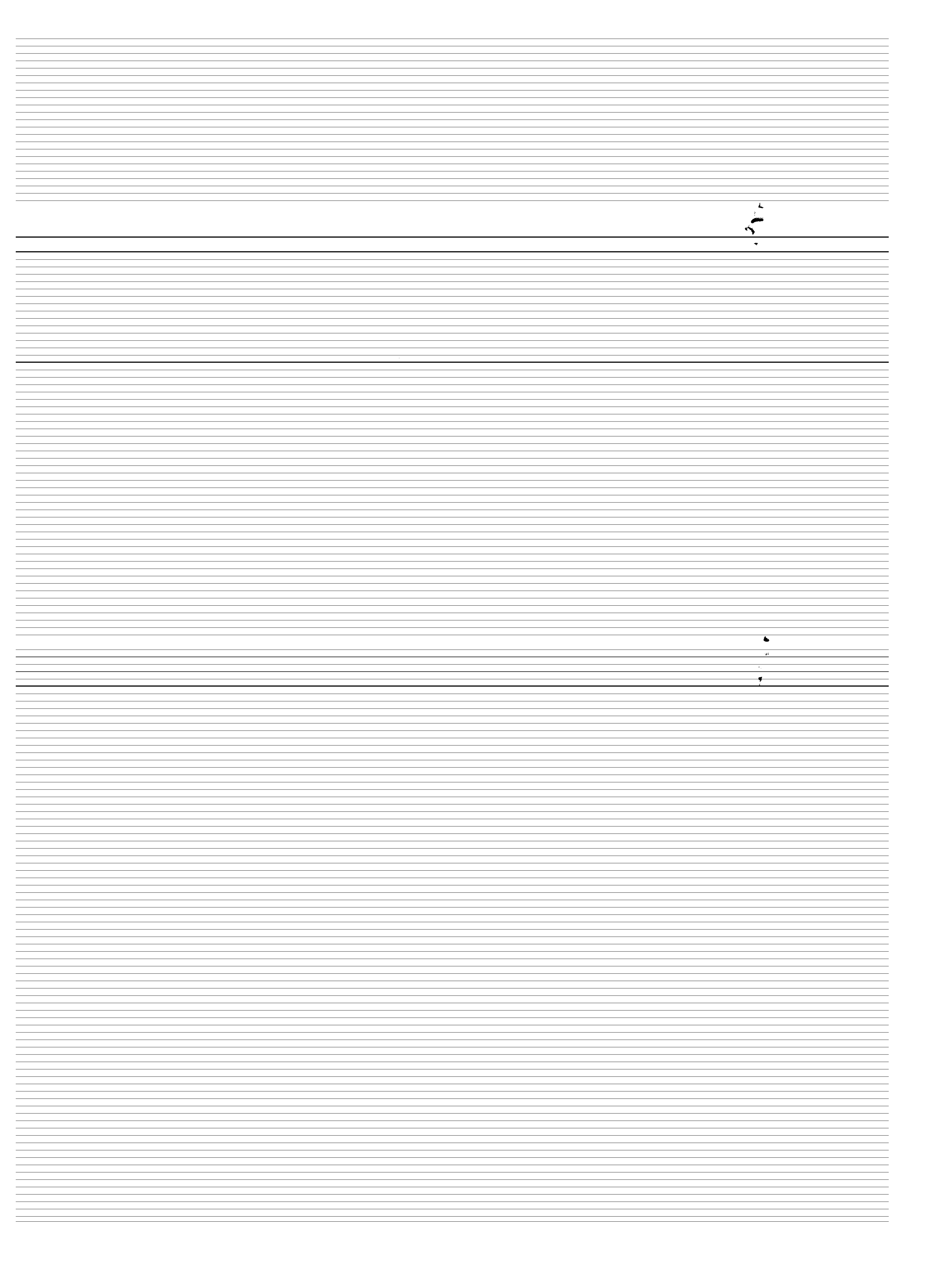
٤٢ ـ **نفسية المتنبى** : محمد مظهر سعيد ، جمع فى كتاب : أبو الطيب.
المتنبى : حياته وشعره .

٤٣ ـ **هل كان المتنبى متدينا** : على أدهم ، جمع فى كتاب . أبو الطيب
المتنبى : حياته وشعره .

٤٤ ـ **هل كان المتنبى فيلسوفا** : أحمد أمين ، جمع فى الكتاب السابق.

٤٥ ـ **الوصف فى شعر المتنبى** : انيس المقدسي ، جمع في الكتاب
**السابق** ⊡

## فهرس الكتــاب



رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية
١٩٩٣/٧٢٤١
تحريرا فى ١٩٩٣/٣/٢٩

مطبعـة الحسين الإسلاميـة
٢٥ حارة المدرسـة خلف الجامع الأزهـر
ت : ٥١٠٦٧٢٤